2 me Année,No . 30

Lundi-29-1-1934

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	في مصر والسودان
٨٠	في الاقطار العربية
١٠٠	في سائر الممالك الأخرى
١٢٠	في العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم ٤٢٩٩٢ / ٤٠٥٣٠

العـــدد الثلاثون — القاهرة في يوم الاثنين ١٣ شوال سنة ١٣٥٢ — ٢٩ يناير سنة ١٩٣٤ — السنة الثانية

فهرس العـــدد

صفحة

٣ الى الاقصر : أحمد حسن الزيات

٥ ربيع مية : الدكتور طه حسين

٧ منطق اللغة : الاستاذ احمد أمين

٩ أحاديث الناس : الاستاذ حسن جلال

٩ الروضة : المرحوم احمد باشا تيمور

١٥ أبو عبد الله آخر ملوك الاندلس : الاستاذ محمد عبد الله عنان

١٨ أطلنطس (القارة المفقودة) : الدكتور محمد عوض محمد

٢١ الشعر والفن : شوقي ضيف

٢٤ التفاؤل والتفاؤم : ابراهيم تادرس بشاى

٢٥ المتصم بن صمادح : الدكتور عبد الوهاب عزام

٢٦ الحرص على الحياة : الامير مصطفى الشهابي

٢٧ توقيع لم ينشر : المرحوم شوقي بك

٢٨ المحزون : خليل بك مردم

٢٩ السكك الحديدية تحت الارض : الاستاذ فخري أبو السعود

٢٩ الى شباب العيد : الاستاذ محمود الخفيف

٣٠ الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية : مدحت عاصم

٣٣ العنصرية : الدكتور احمد زكي

٣٧ مسارحنا في الاعياد : ناقد الرسالة الفني

٣٩ أمير النوبة : حسين شوقي

٤٠ أساف وناثلة : سليمان متولي

٤٢ حياة نابليون : عبد الفتاح السرجاوي

الى الأقصـــر . . .

— ١ —

كان لا بد للأغب أن يستجم ، وللصائم أن يعيّد ، وللمجادل في مجد الفراعين أن يزور الأقصر .

وكان (قطار الآثار) قد جرأ الجيوب الهزيلة على أن تبارى الجيوب الأمريكية في (وادي الملوك) ! وقطار الآثار كقطار البحر فكرة سديدة ، تنفذها ادارة رشيدة . .

ولكنّ حرفَ (لكن) لا يزال واأســـفاه أكثر أخوات (إنّ) استعمالا ، وأشدها بحياتنا اتصالا ! فأنا مضطر أن أقول : ولكن هذا القطار لا يصلح إلا لأقوياء البنية ، أشداء العصب ، ممن يستريحون على الوقوف ، وينامون على الرفوف ، ويغمضون على ضيق المكان ، وكظة الديوان ، وحرج الأسرّة . أما أخو الجسد المهدود ، والعصب المجهود ، فلا مناص أن يقضي ليله كما قضيت : مقسم النفس بين القلق والأرق ، لا يجد نفسه ولا يملك قلبه !

سار بنا القطار المُثْقَل في منتصف الساعة التاسعة من مساء يوم الاثنين أول أمس العيد ، وكان المفروض على راكبه أن يبيت قائماً في الممشى ، أو نائماً على (الرف) ، أما الجلوس لو أراد ، فلا سبيل اليه إذ لا محل له ! وكان من

الميسور تلطيف هذا المقدور بشيء من لهو الحديث لو جمعنا الحظ السعيد برفقة من أهل الأنس ، ولكنني كنت أنا وصديق بين أربعة لا يصل أحدهم بالآخر سبب من جنسية أو لغة ، فحملونا مكرهين الى الفراش النابي والوساد القلق... ولا أريد أن أثقل عليك وعلى ادارة القطار بذكر ما أعقب ذلك من أزمة الصدر ، وضمة القبر ، وازعاج الصحب ، واغاثة الاسعاف ، وقضاء الليل الطويل قابعا أمام الباب لا يخدع في عيني نعاس ، ولا ينفس عن صدري فرج ، فان علاج ذلك كله اعداد عربة للجلوس يتنفس فيها الساهد المكروب باللهو والسمر

* * *

القطار الجاهد يخوض في أحشاء الليل المظلم ، والهواء البارد يسفي غبار الطريق الخانق ، والركب المترجح يغط في النوم غطيط الحتى ، والكرى الجائر قد غلبني على أخوي فأوى بهما الى المضجع ! وانا وحدي في هذا القفص الطائر أرعى نجوم الكهرباء في سمائه المحصورة الرفيعة ، وأقول في آخر ليلة من ليالي رمضان المحتضر : متى ياالله الناس يصبح هذا الليل ؟ !

وأخيرا ، أخذ نور المصابيح الزاهر يشحب قليلا فقليلا ، وستر الظلام الصفيق يرق عن جوانب القطار شيئا فشيئا ، وانفاس الفجر الندية تخلص الى من خلال النوافذ ، وكنا حينئذ نمر على الجسر الحديدي « بنجع حمادي » ، ففتحت الشباك القريب وارسلت طرفي الكليل في شمال الوادي ، فرأيت رءوس الشجر الرفيفة ، وذوائب النخل الرفيعة ، طافية في سيل من الضوء المشوب المبهم ، وتبينت القرى الجاثمة على الضفاف الخضر تستيقظ مطلولة الجنبات مع الطبيعة ، والصبح الوليد يهتك عن مهده الوردي كلة السحر الداكنة ، وأبصرت من وراء (قنا) خطا من ذائب المرجان قد ارتسم على قمم الجبال اللوبية ، ثم أخذ ينتشر ويمتد على الظلال المتخلفة من بقايا الليل حتى عم الوادي ، فاستبانت في سهوله الخصيبة حقول القمح والفول والعدس بكللها الطل ، ويهفو فوقها رقيق الضباب

* * *

أشرقت الشمس علينا كما كانت تشرق منذ آلاف السنين على سيتي ورمسيس ، فهي وحدها المخلوق الذي شهد ضخامه الماضي ، ويشهد الآن ضآلة الحاضر ! فليت شعري ماذا تقول ذكاء في هؤلاء الأقزام الذين يحجون اليوم (طيبة) محتالين على مركب ليس لهم في صنعه قسط من حديد أو خشب ؟ ماذا تقول ذكاء وقد رأت ملوكنا العمالقة وهم في طفولة البشرية ينقلون قطع الجبال من أدنى الشمال الى أقصى الشلال على عجلات وآلات من خلق عقولهم وصنع أيديهم ، ثم ترانا معشر الأعقاب نلوك الفخر أمام الغربيين بعظمة الأقدمين ، ونتبجح أمام الأقدمين بعبقرية الغربيين ، فنحن كحلفة الدوحة العتيقة تنبت رخوة على جوانب الجذر الثابت ، ثم يقعد بها الوهن عن مطاولة الجذع ، فلاهي في رسوخ الأصل وقوته ، ولاهي في سموق الفرع واشرافه ! !

* * *

لا يكاد الصعيد يختلف اليوم عما عهده الفراعين منذ أربعة آلاف سنة ! فالشمس المعبودة هي الشمس ، والنيل المقدس هو النيل ، والقمح الذي خزنه (يوسف) هو القمح ، وجوارح الطير التي تحوم فوق ساحلي النهر هي بأنواعها وأشكالها وألوانها التي كانت تحلق في أجواء « طيبة » ، لأن الحيوان والنبات قلما ينالهما التغير . أما الذي نال منه الحدثان ، وغير من حاله الزمان ، فهو هذا الانسان المسكين ، فانسان النيل لم يعد ذلك الذي قارع الدهر ، وصارع البلى ، وحاول الخلود ، وقدس القوة ، وأخضع العراق والشام وفلسطين والسودان والحبشة ، وإنما أصبح من فعل القرون وإلحاح الجور شيئا من المتاع تابعا للأرض ، يُملك ولا يَملك ، وينتج ولا يُهلك !

على أن القبس الالهي العربي الذي بعث الضوء في شبابه الكادي ، والحرارة في جسمه المنحل ، لا يزال قديرا على إحيائه ، جديرا برفعه

واذا كان البحر يتعاوره الجزر والمد ، والشمس يتعاقبها الغروب والشروق ، والطبيعة يتناوبها الخريف والربيع ، فان مصر الناهضة تشارف بثروتها المد ، وتطالع بقادتها الشروق ، وتستقبل بشبابها الربيع !

ضحت الشمس واستطاع النظر القصير أن يجمع الوادي في

ربع ميـــة . . .

للدكتور طه حسين

يادار ميـة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد
وقفت فيها أصيلا لا أسائلها عيت جوابا وما بالربع من أحد

ولم يكن ربع مية بالعلياء فالسند ، وانما كان فى صحن الازهر ، وعند القبلتين القديمة والجديدة ، حيث كانت الحركة العاملة فى الليل والنهار ، وحيث كان ذلك الدوى الغريب الذى لم يكن ينقطع الا فى اوقات الصلاة العامة . والذى كثيرا ما فكرت فيه وسألت نفسى عن هذه الأجزاء التى لاتحصى ، والذرات التى لاتعد ، والتى كانت تؤلف جوهره وتكون مزاجه ، وتجعل منه وحدة لايظهر فيها الاختلاف ، ولا يحس فيها التباين ، فاذا حللتها رأيت اختلافا لاحد له ، وتباينا ليس له آخر : رأيت أصوات قوم يتحدثون فى متاع الدنيا ولهوها ، واصوات قوم آخرين يتحدثون فى جد الحياة وآلامها ، وقوما يذكرون الله ، وقوما يدرسون العلم ، وقوما يتلون القرآن ، وقوما يقرأون مايخطر لهم وما لايخطر لك على بال ، وقوما يخوضون فيما تظن وفيما لاتظن من فنون الحديث ، ومن هذه الاصوات كلها يتعقد صوت واحد قوى ضخم عميق عنيف متحد ملأ فضاء الازهر منذ تدخله الى حين تخرج منه ، ويملأ فضاء الازهر من أى باب ولجته ، الى اى باب تجاوزته ، ويملأ فضاء الازهر فى جميع ارجائه وأنحائه على كثرة مافيها من الأنحناء والالتواء والانعطاف

نعم فى هذا الربع الذى لم يكن يخلو فى نهار ولا فى ليل ، ولم يكن يهدأ فى شتاء ولا فى صيف ، ولم يكن يشعر بالحاجة الى الحياة لانه كان حياة كله . وكان حياة كاشد ما تكون الحياة قوة وحركة وانتاجا . فى هذا الربع وقفت كما وقف النابغة فى ربع مية ، ولكنى لم أقف أصيلا وإنما وقفت بعد صلاة العتمة فتهمت هذا النحو من شعر القدماء ، أو قل أحسست هذا النحو من شعر القدماء ، فما أكثر مانفهم الشعر القديم والحديث دون أن نحسه كما يحسه قائلوه . ودون أن نتأثر به كما يتاثر به الشعراء

وكان الأزهر كربع مية : خلا بعد عمران ، وسكن بعد حركة ، وأعيا عن جواب السؤال حين وجه اليه السؤال ، وكان الازهر كربع مية قد طال عليه الأمد وبعد به العهد . طال عليه الأمد أكثر مما طال على ربع مية فما أظن أن ذلك الأمد الذى ذكره النابغة والذى طال على ربع مية كان طويلا مسرفا فى الطول يكاد يبلغ ألف سنة كهذا الأمد الذى أذكره حين أتحدث عن الازهر والذى ذكرته حين تحدثت الى الأزهر منذ أسبوعين . وكان الأمد بين الأزهر وبينى قد طال . فما أذكر أنى دخلته منذ بضع عشرة سنة ، وما أذكر أنى طوفت فيـــه منذ أكثر من عشرين عاما ، ولكنى حملت فى نفسى دائما للازهر صورة حية قوية شديدة الحركة عظيمة النشاط رائعة الدوى عسيرة التحليل ، وكنت أسعى إلى الأزهر منذ أسبوعين وإن قلبى ليخفق سعادة واغتباطا وحنينا إلى هذه الصورة التى صحبتنى ربع قرن وطوفت معى فى أقطار الأرض واستقبلت معى ألوان الخطوب لم تضعف ولم تفتر ولم تتضاءل . والتى كنت أسعى بها إلى أصلها الأصيل فى صحن الازهر وعند القبلتين لتستمد قوة إلى قوتها وحياة إلى حياتها ، فلما بلغت الربع — وليتنى لم أبلغه — نظرت فاذا الصورة أقوى من الأصل ، واذا الأزهر الذى أحمله فى قلبى أشد حركة وأعظم نشاطا وأقوى حياة من الازهر القائم هناك فى حى من أحياء القاهرة .

قال أصحابى وكلهم مثلى من أبناء الازهر الذين بعد عهدهم به وطال فراقهم له : وما يمنعنا أن نختم رمضان بزيارة قصيرة للازهر نحيى بها العهد القديم ونذكر بها أيام الشباب . قلت وإنى فى ذلك لراغب ، وإنى إلى ذلك لمشوق . ومضينا الى الازهر ونحن نقدر أن سنجد فيه تلك الصور التى ألفناها ، وأن سنسمع فيه ذلك الدوى الذى عرفناه ، وأن سنختلط به اختلاطا ، ونمتزج به امتزاجا ، وقفنا فيه كما كنا نفعل أيام الشباب وقفات فيها الجد الخصب ، وفيها هزل يشوبه الحب والعطف . تتنقل بين هذه الحلقات المنبثة فى أرجائه نسمع لهذا الشيخ وهو يقرأ الحديث أو التفسير أو يقص قصص الوعاظ

نظرة ! وهيهات لابن (الدلتا) القديمة أن يفهم معنى الوادى إلا فى أعالى الصعيد ! فهنالك تتقارب السلسلتان بما وراءهما من موات وجدب ، وينساب بينهما النهر العظيم بما يحمل من حياة وخصب ، ويشعر المصرى الذى يرى هذا المنظر أول مرة فيجد واديه كله فى عينه وفى قلبه ، بنوع من الغيطة لم يحسه من قبل ، ويستغرق فى نشوة من الذكريات والامانى لايخرجه منها الا وقوف القطار على محطة الأقصر . . .

احمد حسن الزيات

فيعجبنا صوته والقاؤه وفهمه وإفهامه فنعجب به ونبسم له . وتتجاوزه الى ذلك الشيخ فيضحكنا صوته أو إلقاؤه أو لازمة من لوازمه أو بعض مايدفع اليه من الخطأ فى الفهم أو السخف فى الافهام فنتصرف عنه ضاحكين متفكهين ، حتى اذا قضينا من هذا كله أربا خرجنا وقد ذكرنا أنفسنا وسعدنا بلقاء تلك الأيام العذاب .

كنا نقدر هذا كله ، فلما دخلنا الازهر لم نر الا وحشة ولم نحس الا صمتاً ، لم نعرف شيئا ولا أحداً ، ولم يعرفنا شيء ولا أحد . وإنما كنا أشبه شيء بالأشباح أو الاطياف تمضى فى مكان خال موحش لاحياة فيه ولاعمران ، وأشهد لقد لقينا خدم الازهر باسمين ثنا محتفين بنا ، يسعون بين أيدينا ومن حولنا ، كأنما نحن جماعة من السائحين الذين لا علم لهم بالازهر ولا معرفة لهم بخفاياه ، فهم يهدوننا ويدلوننا ويرفقون بنا فى الحديث . ويحكم ! فانا أعلم منكم بالازهر وأعرف بمعالمه ، وإنا لم نأت لنلقى منكم هذا الرفق ، وإنا لنعضل أن تلقونا بما كان يلقانا به أسلافكم من ذلك العنف الذى كانت تحبه نفوسنا وان أظهرنا منه النفور . اين الجلاوى واعوان الجلاوى ؟ اين تلك العصى التى كانوا يهزونها فتسمع لها اصوات خفيفة ولكنها مخيفة ؟ اين الغراب وايام الغراب ؟ اين رضوان وجنود رضوان ؟ اين الجندى واعوان الجندى ؟ اين هؤلاء جميعا وما كان يحيط بهؤلاء جميعا من جلال كنا نزدريه وكنا نضيق به ، وهانحن اؤلاء نذكره الآن فنذهب نفوسنا فى اثره حسرات . ولست ادرى من هذا الذى عرفنا فاسرع بأسمائنا الى رجل كريم من أصحاب الفضيلة المفتشين . وانى لأطوف مع صاحبى فى الازهر يتحدث الى واتحدث اليه بهذا الصوت الهادىء الخافت الذى نصطنعه اذا خلا احدنا الى صاحبه . كأنما نحن فى دار من الدور او فى بيعة من البيع التى يحسن فيها الهمس لا فى الازهر الذى لم يكن يحب الا الجهر ورفع الصوت ، وما راعنا الا صاحب الفضيلة وقد اقبل علينا طلق الوجه باسم الثغر مبسوط الاسارير يحيينا تحية الرجل الكريم ، ويدعونا الى ضيافته ويلح علينا فى ان نصعد معه الى حيث يتلى القرآن ويشرب الشاى ..

وكنا نود لو استطعنا ان نخلو الى هذه العمد القائمة لنجدد عهدنا بها ، ولنبثها ذكرى تلك الايام ، ولنسألها عما لم يهمنا الحوادث واختلف عليها من الخطوب منذ فارقناها ، ونظفر منها بهذا الصمت الذى هو افصح من الكلام وابلغ منه اثرا فى النفوس ، ولكن الشيخ دعا فلم يكن بد من ان نستجيب ، فمضينا مع الشيخ الى حيث اراد ، وصعدنا معه الى غرفة من تلك الغرفات التى كنا نذكرها ايام الصبا فتملأ قلوبنا لذكرها مهابة واجلالا ورهبة واكبارا . فى تلك الغرف كان يستقر شيخ الازهر ومفتى الديار . وفى تلك الغرف كانت تدبر امور الازهر وتصرف شؤون العلماء والطلاب ، وحول تلك الغرف كانت تتطاير طائفة من الاحاديث والاساطير عن حياة الشيوخ واقوالهم وأعمالهم . وكانت هذه الأحاديث تصل الينا فنعجب بها ونبسم لها ونلتمس فيها العبرة والعظة والفكاهة . وكنا نتنقل بهذه الأحاديث الى بلادنا فى الريف فنقصها على آبائنا واخواننا فيعجبون بها ويكبرون أصحابها ويتخذونها ذخراً لما يعقدون من مجالسهم اذا أشرق الصبح أو أقبل المساء .

صعدنا مع الشيخ الى تلك الغرفات ونحن نسأله عن الأزهر ما خطبه ، وعن هذا الصمت ما مصدره . والشيخ صامت كالأزهر لا يستطيع رجع الجواب . ثم انتهينا مع الشيخ الى طائفة من أصحابه كرام مثله لقونا لقاء حسنا ، وحيونا تحية حسنة ، كما لقينا الشيخ وكما حيانا ، ونسألهم عن الأزهر ما خطبه ؟ وعن هذا الصمت ما مصدره ؟ فاذا هم صامتون كالأزهر ، واذا هم صامتون كالشيخ ، واذا هم لا يستطيعون رجع الجواب .

ثم تدور علينا أكواب الشاى ، ثم تتلى علينا آيات الله فى صوت عذب ولهجة حلوة وقراءة صحيحة مستقيمة نقية تصل الى أعماق القلوب . ولكن من القارىء ؟ من أين جاء ؟ ما شكله ؟ وما زيه ؟ أنه رجل مطربش قد اتخذ زيا غير زى الأزهر ، لأنه ليس من أهل الأزهر وإنما هو من عمال العنابر . تبارك الله ! رجل من غير الأزهريين يتلو القرآن بين الازهريين ! هذا خبر ، هذا خبر كثير ولكنه غريب لم نكن نقدر أن نلقاه فى أيامنا تلك . وكنا نحب أن نلقاه الآن والأزهر معمور يموج بالناس وترتفع فيه أصوات الشيوخ بقراءة القرآن . ولكن الأزهر ساكن صامت ، وهذه الطائفة الكريمة من العلماء الواعظين قد استمعوا وأنصتوا لتلاوة القرآن الكريم تخرج من رأس عليه طربوش . هذا خير ما فى ذلك شك . ولكن هذه الصورة مازالت غريبة فى أنفسنا ، وما زال موقعها من قلوبنا شاذا قلقا ، ومع ذلك فقد يقال إن الشيوخ محافظون ، واننا نحن من أصحاب التجديد .

ثم انصرفنا محزونين مستيئسين ، جئنا نزور الأزهر فلم نر الأزهر ، وانما رأينا اطلاله ولم نستطع أن نطيل عندها الوقف . قلت لأصحابى : ولكن ما هذا الصمت وكيف انتهى الأزهر اليه ؟ وأيكم كان يظن أن ذلك الصوت العظيم يقضى عليه فى يوم من الأيام أو فى

(البقيـــة على صفحة ٤١)

منطق اللغـــة

للأستاذ أحمد أمين

قال صديقي : ألا تنظر إلى هذه الظاهرة الغريبة ؟ أنا في مجلس يتجادل أحيانا فيما يُعرض عليه باللغـــة العربية ، وأحيانا باللغة الانجليزية ، فاذا تجادل باللغة الانجليزية فالحجة تُقْرَع بالحجة في إيجاز ، وداخل حدود معينة . قلّ أن يكون هناك استطراد . وقلّ أن يكون لعب بالألفاظ ، وقلّ أن يكون خروج عن الموضوع ، وقلّ أن يكرّر المجادل نفسه فيما يقول . فاما أن يأتي بحجة جديدة وأفكار جديدة ، وإما أن يسكت . وما هي إلا هنيهة حتى يؤخذ الرأي ، ويفصل في الأمر . وإذا تجادلنا باللغة العربية فهناك يطول الجدل ، ويكثر الحديث ، وكثيراً ما تقرع الحجة لا بأختها ، ولكن بنت عمها ، وكثيراً ما يستطرد من موضوع إلى موضوع لا قل مناسبة أو بدونها ، وبعد طويل من الزمان يعودون إلى ما بدءوا فيه ، وتثار مسائل كثيرة لا يفصل في واحدة منها ، ويقول المجادل الآن ماقال من قبل ، فيرد عليه صاحبه بمثل ما رد من قبل ، وتتشعب الآراء حتى يصعب حصرها . وحتى ينسى أخيراً ما بدىء به أولا ، ثم يؤخـــذ الرأي وقد مل المتجادلون ، وسئموا الجدل ، وودوا أن يفصل في الأمر على أي شكل . ولذلك قد يكون الرأي يؤخذ أخيرا شراً من الرأي يؤخذ أولا ، بل قد يكون الرأي الذي قرر لا علاقة له بالمسألة التي أثيرت من قبل .

نعم يا صديقي . أنا أعتقد أن لكل لغة منطقا يخالف منطق اللغة الأخرى ، وأن المسألة لا ترجع الى عقليـــة المتجادلين وحدها ، فقد يتجادل جماعة — كما ذكرت — باللغة الأجنبية ، ثم هم أنفسهم يتجادلون باللغة العربية فيكونون في الأولى أكثر توفيقا ، وليس من الصحيح أن ترجع هذا إلى ضعفهم في اللغة الاجنبية . وقوتهم في اللغة العربية ، فهذا القول ينطبق تماما على من أجادوا اللغتين ، وحذقوا اللسانين

وتعليل ذلك قد يبدو غريبا ، فان أول ما يتبادر الى الذهن أن اللغة ليست إلا وسيلة للتعبير عن المعاني ، وليست إلا مظهراً من مظاهر العقلية ، فاذا كان التفكير صحيحا سليما كان التعبير عنه كذلك مادام صاحبه يجيد التعبير ويتقن اللغة ، واذا كان التفكير فاسدا كان التعبير عنه فاسدا متى وفق صاحبه للتعبير عما يريد ، ولكن يظهر لي أن المسألة أعمق من ذلك وأن هناك تفاعلا بين اللغة والتفكير ، فاللغة المنظمة تعمل في تنظيم الفكر ، والفكر المنظم يعمل في تنظيم اللغة — وكذلك العكس — وان المتكلم إذا تحدث باللغة الانجليزية أو الفرنسية خضع لنطقها وطرق تفكيرها كما يخضع لاختيار كلماتها ، واختيار أساليبها وكيفية معالجة الموضوع ، فيؤثر ذلك كله في تفكيره وجدله وحججه ، وعلى الجملة فهو يحاول ان يكون انجليزيا أو فرنسيا في تفكيره كما هو انجليزي أو فرنسي في لغته — يشعر هذا تمام الشعور من أجادوا لغتين أو أكثر ، فهم إذا تكلموا بلغة أجنبية راقية شعروا مثلا — بأن هناك غرضا محدوداً واضحا يرمون إليه في حديثهم وحججهم ، وأنهم يضعون لذلك خططا ثابتة معينة تشبه خطط الحرب يضعها قادتها لتسلم كل خطوة الى التي تليها ، أو كالخطط التي يضعها لاعب الشطرنج الماهر إذا لعب لعبة علم ماذا يريد منها وما هي الألعاب التي تترتب عليها فتنتج الفوز ، وهو هو اذا تكلم باللغة العربية لم يتضح القصد له وضوحه باللغة الاجنبية ، ولم يرتب حججه ذلك الترتيب الذي يرتبه باللغة الاجنبية — ومن أوضح الامثلة على ذلك أن مجيد اللغتين كثيرا ما يذكر باللغة الاجنبية ، ويترجم تفكيره الى اللغة العربية ، وقلما يعكس ، مع أن اللغة العربية هي لغته الأصلية ، وهي التي نشأ عليها وتربى في أحضانها ، فكان معقولا أن تكون هي لغة تفكيره

فاذا عبر بلغة أجنبية نقل تفكيره اليها ـ وليس من الهين تعليل هذه الظاهرة ، ولكن يمكن أن يقال ان السبب فى ذلك أن اللغات الأجنبية الراقية قد استكملت أدواتها ، من حيث الألفاظ الموضوعة لكل آلة مخترعة ولكل معنى مستكشف ، كما استكملت أدواتها من حيث أساليب التفكير وصياغة المعانى صياغات مختلفة . أدخل فى الذهن ، وأقبل للعقل ، وأجمل فى الذوق ، وأن اللغة العربية أبطأت فى تاريخها الحديث ولم تسرع فى السير ، برغم مايقوله الدعاة من أنها أغنى اللغات وأجمل اللغات ، ثم يلامون على ذلك من غير أن يعملوا على تكميل نقصها ، ومعالجة ضعفها ، وكيف يعمل على معالجة الضعف من لم يشعر بألم المرض ؟ وكيف يعمل على تكميل النقص من لم يشعر بنقص؟ ـ لهذا كان فكر المفكر اذا أجاد اللغتين يتبع ـ من غير اختيار ـ أرحبها صدرا وأغزرها مادة وتعبيرا

وسبب آخر : وهو أن الأمم الأجنبية الراقية قد مرنت طويلا على المجالس النيابية والمناظرات المدرسية والجامعية ، وتكونت لها مع طول الزمن تقاليد معروفة مألوفة غير مكتوبة ، وأثرت فى جدلهم ومناظراتهم ومجالسهم أثرا كبيرا ، كما أثرت فى طرق تفكيرهم ولغتهم التى يتبعونها فى الجدل والمناظرة

ثم — مما لا شك فيه — أن هناك ارتباطا قويا بين اللغة والخلق ، فلست تجد فى لغة أجنبية من ألفاظ الملق وعباراته ما تجده فى اللغة العربية مما أدخله عليهـــا الفرس والأتراك ، ولا تجد من عبارات الخشوع التى تدل على الذل والخضوع ما تجد فى لغتنا العربية الحديثة كانت اللغة ديمقراطية شريفة نبيلة يوم كانت اللغة العربية لغة العرب الديمقراطيين الذين لا يفرقون كثيرا بين مخاطبة الأمير ومخاطبة بعضهم بعضا ، ثم أصبحت لغة العبيد يوم تسرب الى أهلها الذل والعبودية — لقد جلست أول أمس الى رجل يحدث « باشا » فكان ما أحصيت فى حديثه من « سعادة الباشا » أكثر من كلماته فى الموضوع — ومالى أذهب بعيدا — ومدلول الكلمة فى اللغة العربية أصبح غير مدلوله فى اللغة الأجنبية ، فاذا قال الألمانى أو الانجليزى « نعم أفعل » لم تدل على نفس المعنى الذى يقوله المتكلم باللغة العربية « نعم أفعل » « فنعم أفعل » العربية تدل على أنه قد يفعل وقد لا يفعل — والسامع إذا سمعها شك فى مدلولها « هل يفعل أو لا يفعل » فاحتاج الى أن يكرر عليه الطلب والرجاء . واحتاج المتكلم أن يعيد « نعم أفعل » وربما أقسم ، وربما استعمل كل صيغ التأكيد ، وهى بعد هذه الأيمان وهذه التأكيدات كلها لا يزال مدلولها أنه قد يفعل وقد لا يفعل — وهو اذا لم يفعل لم يخجل ، لأنه حقق وجها من وجوه الجملة — بل المتكلم الشرقى اذا قال « سأفعل » باللغة الأجنبية كانت أقوى فى نظره وأكثر التزاما مما إذا قالها باللغة العربية ، والمتكلم هو هو ، لم يتغير فى الكلمة إلا التعبير عنها باحدى اللغتين ، فاذا قالها العربى لأجنبى كان لها أشد احتراما وتنفيذا أشد رغبة وأقوى ارادة — أليس فى هذا كله دليل على شدة الارتباط بين اللغة والعقل واللغة والخلق ، وأن العقل واللغة والخلق كلها تتفاعل ، فاذا رقيت اللغة تبعها — نوعا ما — رقى العقل والخلق ، وإذا رقى العقل تبعه — نوعا ما — رقى اللغة والخلق ، وهكذا . ومن هذا تنتج معادلات جبرية معقدة الحل

إن الغيرة القومية والنهضة الشرقية تتطلبان أن يعنى قادتها بهذه المظاهر ، وأن يضعوا للأمة تعاليم جديدة فى اللغة والتفكير ، فهم مطالبون بكل الوسائل أن يميتوا ألفاظ الملق من اللغة العربية ويحيوا ألفاظ الأدب النبيل ، وأن يربطوا أشد الربط بين الالفاظ ومدلولاتها ، فلا يسمحوا أن يضيعوا مدلول الالفاظ كما هى ضائعة اليوم — وأن يضربوا الأمثال للناشئين فى الجدل والمناظرات فيعلموهم كيف تؤدى المعانى على وجوهها ، وكيف تلتزم حدود الجدل فلا تتخطى ، وكيف يرسم الغرض الذى يرمى اليه الباحث ، وكيف يختط السبيل اليه ، وكيف

أحاديث الناس ؟ !

للاستاذ حسن جلال

المنظر الاول

(فى الطريق)

رجلان يسيران الى جانب الطريق . فيصادفهما ثالث يعرف أحد الرجلين دون الآخر فيستوقفه . ويدور بينهما الحوار الآتى بينما ينحى الرجل الآخر ناحية ريثما ينتهى صاحبه من الحديث

١ ـ أين أنت يارجل ؟ نحن لانكاد نراك الا مرة فى كل عام !

٢ ـ أنا « تحت الانظار » يافندم !

١ ـ كن فوقها واظهر !

٢ ـ ها . ها !

١ ـ سلامات !

٢ ـ أوحشتنا !

١ ـ طيبون !

٢ ـ الله يحفظك !

١ ـ الى أين ؟

٢ ـ أرافق صاحبي هذا (ويشير اليه) .

١ ـ طيب ياأخى « أروفوار » !

٢ ـ مع السلامة ياعزيزى !

يتصافحان بشدة ويعود الرجل الى صاحبه الذى كان ينتظره ويقول :

روح الله لايرحمك . انك ثقيل !

الصاحب ـ من هذا؟

ـ والله لست أعرف اسمه !

ـ ظننت من حرارة حديثكما أنه أحد أقاربك المقربين !

ـ على العكس . فأنى لم أره فى حياتى قبل هـــذه المرة الا مرة واحدة . وكان ذلك فى (قطار البحر) هذا الصيف حيث كنا نحن الاثنين فى طريقنا الى الاسكندرية فقطعنا الطريق فى الحديث ولكنى لم أقابله بعد ذلك الا الآن

(ينصرفان وهما آخذان فى مثل هذا الكلام)

* * *

المنظر الثانى

(فى التلفون)

رجل يعزى صاحبا له فى وفاة والده

١ ـ آلو . فلان ؟

٢ ـ نعم أنا فلان !

١ ـ Condoliance

٢ ـ آلو ! آلو !

١ ـ Condoliance ! Condoliance

٢ ـ ماذا تقول ؟

١ ـ أقول ! Condoliance !

٢ ـ لست أسمعك جيدا !

١ ـ ألم يتوف المرحوم والدك ؟

٢ ـ نعم مات .

١ ـ أنى أعزيك . البقية فى حياتك !

٢ ـ متشكر ياأخى . ابقى الله حياتك !

١ ـ أنا تألمت جدا . ولكن هذا حال الدنيا !

٢ ـ أى نعم . ربنا يلهمنا الصبر !

١ ـ « شد حيلك » انت . والبركة فيك (برضو) !

٢ ـ بارك الله فيك . انا متشكر لسؤالك .

يوفر الزمن إذا هو التزم ألا يقول إلا جديداً فى المعنى ، وكيف يصل إليه من أقرب طريق

لو فعلنا ذلك لوفرنا على المجالس زمنها وتفكيرها ولوصلنا فى مسائلنا إلى نتائج خيرما نصل إليه الآن ، بل عندى أن السرعة مع الخطأ أحيانا خير من الابطاء المملل والتفكير الراكد مع الصواب دائما

احمد أمين

١ - العفو ياحبيبي !

ويضع السماعة فى ضجر وهو يقول :

جاتك داهية فى ابوك مطرح ماراح !

* * *

المنظر الثالث

(فى النادى)

جماعة من الاصحاب يجلسون حول منضدة يتحدثون :

١ ـ ألم يعد يأتى (فلان) الى النادى ؟ أنى لم اره هنا منذ زمان

٢ - اعوذ بالله من غضب الله ! أنا عارف إيه اللى فكرك (باللهو الخفى) ده دلوقت ؟

٣ ـ سبحان الله ياأخى ماتفهمش ليه أنا كان ماأقبلوش الجدع ده ! أمر تجدنى اكرهه كده لله فى لله !

٤ ـ جات دا داهية فى غلاسته بعيد عنك !

١ ـ أه . افتكرنا القط جانا ينط !

٢ ـ اتفرج ياسيدى داخل نافش ازاى زى الديك الرومى

يقبل (فلان) ويدخل عليهم

الجميع ـ أهلاً . . . . . نْ وسهلا فلان بك !

١ ـ اتفضل هنا .

(ويقدم له مقعد)

٢ - لا والله . تعال جنبى أنا هنا !

* * *

ايها القارىء :

صدقنى لقد حضرت هذه الأحاديث جميعها بنفسى . وسمعتها بأذنى . ولست اظنك الا سمعت لها أشباها ونظائر كثيرة . فأنا إنما أذكرك بها الآن لأهمس فى أذنك قبل ان أتركك :

« ماهكذا تكون (أحاديث الناس) الطيبين ! وخليق بذى الوجهين الذى يستقبل (الوجوه) بلسان ، ويشيع (الاقفية) بلسان آخر ، ان يعتقد لسانيه ، ان كان لا يملك ان يتخلى عن أحد وجهيه ! »

حسن جلال

الروضـــة

بحث طريف لم ينشر

للعلامة المغفور له أحمد باشا تيمور

الروضة جزيرة بها مقياس النيل واقعة بين مصر القديمة والجزيرة ، وملخص تاريخها أنها من الجزر القديمة الحادثة قبل الفتح الاسلامى ولكن لايعلم زمن حدوثها . وبسبب قربها من قاعدة الديار المصرية وطيب هوائها وموقعها ظلت فى كل جيل مطمح أنظار الملوك والأمراء وذوى اليسار ، وتعاقب عليها حالان فكانت تارة تجعل حصناً للدولة وأخرى منتزها حاوياً للبساتين والدور والمساجد والحمامات كما يأتى .

الحصن القديم والحصن الطولونى : لما فتح الله على المسلمين مصر وملكوا الحصن الشرقى المعروف بقصر الشمع لجأ المقوقس وقومه الى حصن كان بهذه الجزيرة ، وبعد تمام الفتح خرب الأمير عمرو بن العاص بعض ابراجه وأسواره ثم تمم عمرانها بعد ذلك فكانت فى ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر عامرة بالبيوت المشرفة على النيل من كل جهة ، وكان بها خمسمائة عامل معدة لحريق يطرأ أو هدم - وفى إمارة أحمد بن طولون بنى بها حصنا ليحرز فيه حرمه وماله وذخائره لما بلغه مسير موسى بن بغا من العراق قاصدا مصر ثم أهمل بعد الدولة الطولونية فاخذه النيل شيئاً فشيئاً . (١)

المختار والروضة : وكانت بها الصناعة (٢) لعمل السفن الحربية فلما تولى محمد بن طغج الاخشيد (٣) على مصر نقل الصناعة

---

(١) القاضى ابى عمرو عثمان النابلسى كتاب عن هذا الحصن سماه حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة مفقود الآن فيا علم وقد ذكره المقريزي فى خططه ونقل عنه (انظر ج ١ ص ٣٢٦ طبع بولاق) وذكره السيوطى فى كوكب الروضة فقال عنه « لم أقف عليه ولكن المقريزي ينقل عنه كثيرا »

(٢) الصناعة أو دار الصناعة المكان المعد لانشاء السفن وقد اقتبس الترك هذين اللفظين بعد تشويههما بالتحريف فقالوا (ترسانه) واقتبسها الافرنج بتشويه آخر فقالوا (أرسنال) Arsenal

(٣) طغج ضبطه ابن خلكان بضم الطاء وسكون الغين وفى مادة جفف فى شرح القاموس الزبيدي ان أهل المغرب ضبطوه بضم الغين والطاء وتشديد الجيم . قلنا وهو الموافق للوزن فى قول أبي العلاء المعري فى الروميات

وأحسن منكم فى الرمية سيرة طغج بن جف حين قام وبارس

وقول مهاجر بن يموت من قصيدة فى رثاء الاخشيد أوردها التوزى فى نهاية الارب فاق وتأ محمد بن طغج هو ليث الشرى وغيث الغمام

الى ساحل الفسطاط وأنشأ موضعها بستانا سماه المختار وبنى فيه قصراً وأما كن له ولغلمانه ، وكان يفاخر به أهل العراق ، وبقي بعده فكان يتنزه فيه المعز الفاطمي وابنه العزيز ، ثم في أيام استيلاء الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي على وزارة الفاطميين وحجره على الخليفة أنشأ في شمالي الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة وبنى فيه المناظر البديعة ، فمن حينئذ عرفت الجزيرة كلها بالروضة وكانت تعرف في أول الاسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم بجزيرة الحصن (١) هذا قول عامة المؤرخين ، وقال ابن المتوج انما سميت بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها . وبعد قتل الأفضل بنى بها المأمون البطائحي الوزير منظرة بقيت الى آخر الدولة الفاطمية ، ويذكر المؤرخون أنه بناها مكان الصناعة بعد ان نقل الصناعة الى مكانها القديم بالفسطاط ، ولا يخفى ان نقلها أول مرة من الجزيرة كان زمن الإخشيد كما تقدم ، ولم نرهم ذكروا انها أعيدت اليها ولا رأينا منهم من تنبه لذلك غير الامام السيوطي في كوكب الروضة فانه علق على هذا الخبر بقوله « وهو يدل على أن الصناعة أعيدت الى الروضة بعد أن نقلها الاخشيد الى ساحل مصر حتى نقلت ثانيا » .

الهودج : ولما تولى الآمر بأحكام الله الخلافة أنشأ بها قصرا على النيل بجوار البستان المختار سماه الهودج وأسكن به زوجته الغالية (٢) البدوية ، وسبب ذلك أنه كان مغرما بالجواري العربيات قيل له أن بصعيد مصر جارية من أكمل العرب وأظرف نسائهم جميلة شاعرة فأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها ، فلما نقلت الى القصر انقبضت نفسها من حيطانه واشتاقت الى تسريح طرفها في الفضاء على ما اعتادته فبنى لها الهودج على شاطىء النيل بالجزيرة في شكل غريب وصار يتردد عليه الى أن قصده في رابع ذي القعدة سنة ٥٢٤ فلما بلغ رأس الجسر مما يلي الروضة وثب عليه قوم من النزارية (١) كانوا كامنين له هناك وضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه فحمل الى منظرة اللؤلؤة (٢) بشاطىء الخليج وقد مات . قال ابن سعيد وقد أكثر الناس من ذكر الآمر والبدوية وابن عمها حتى صارت رواياتهم كأحاديث البطال (٣) وألف ليلة وليلة وما اشبه ذلك . فمما روى عنها انها بقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الخليفة الآمر :

يا ابن مياح إليك المشتكى ... مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حي مطاعا آمرا ... نائلا ما شئت منكم مدركا
فانا الآن بقصر موصد ... لا أرى الا خبيثا ممسكا
كم تثنينا كأغصان النقا ... حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برمال الحمى ... حيثما شاء طليق سلكا

فاجابها بقوله

بنت عمي والتي غذيتها ... بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندي ضعفها ... لو غدا ينفع ما المشتكى
مالك الأمر اليه يشتكي ... هالك وهو الذي قد أهلكا
شأن داود غدا في عصرنا ... مبدياً بالتيه ما قد ملكا

وبلغت الآمر الأبيات فقال لولا أنه أساء الأدب في البيت الرابع لرددتها الى حيه وزوجتها به . قال القرطبي والناس في طلب ابن مُيّاح

وجاء به المتنبي مخففا في قوله

حت على الاعلاء من كل جانب ... سيوف بني طنج بن جف القماقم

وقال المكبري في شرحه طنج الأصل فيه ضم النون وانما غيره على عادة العرب في تغيير الاسماء الاعجمية

وأما الاخشيد بكسر فسكون فكسر بلا خلاف وكان اتابكاً للملوك فرغانة فلما تولى محمد بن طغج على مصر وهو من ذريتهم سأل الخليفة الراضي تلقيبه به فأجابه الى ذلك

(١) كذا في خطط المقريزي وغيرها وقد سماها المقريزي في كلامه على الهودج (ج ١ ص ٤٠٨ طبع بولاق) بجزيرة الفسطاط أيضا ، وفي الاتعاظ لابن دقاق عن الكندي لما كانت تعرف قديماً بجزيرة الصناعة . قلنا وكانت تعرف في زماننا بالنيل بفتح فسكون وفتح وهو اسم قرية بها قلب عليها كلها ثم عاد اليها اسم الروضة أخيراً لما أنشئت الجسور الثلاثة بينها وبين مصر القديمة والجيزة وأخذت الضفة تذكرها بهذا الاسم فشاع بين الناس

(٢) رسم اسمها في بعض التواريخ بالعين المهملة

(١) هم القائلون بامامة نزار بن المستنصر الفاطمي وكان والده يريد العهد اليه فاطله وزيره الافضل ابن أمير الجيوش لبغضه له ولمادات المستنصر بايع ولده الصغير أحمد ولقبه بالمستعلي وقهر نزارا الى الاسكندرية واستولى عليها وانضم اليه واليها وقاضيها وبعض الامراء وبايعوه ثم انتهى أمره بالقبض عليه وحمله الى القاهرة وقتله بها بأمر أخيه المستعلي وتدبير الوزير ، وكان الحسن بن الصباح شيخ الاسماعيلية وهو المشهور لما حضر الى مصر واجتمع بالمستنصر سأله عن الامام بعده فقال ولدي نزار فلما عاد الى العراق نشر الدعوة النزارية في تلك الاوجاء بين الاسماعيلية وهو الذي أرسل هؤلاء النزارية الى المستعلي لاغتياله الامامة من نزار وبنيه فلم يتمكنوا منه حتى مات فقتلوا ابنه

(٢) من مناظر الخلفاء الفاطميين بناها العزيز ثم جدد بها الحاكم ثم أعادها ابنه الظاهر وكانت تطل من الغرب على الخليج ومن الشرق على البستان الكافوري وكان الخلفاء يتفرجون فيها في أيام النيل وموضعها الآن الاماكن الواقعة جنوبي مسجد الشيخ الشعراني

(٣) طبعت هذه القصة بمصر بعنوان سيرة الاميرة ذات الهمة وولدها الامير عبد الوهاب والامير أبي محمد البطال .

واختفائه أخبار تطول. وكان من عرب طيء في عصر الامير طراد بن مهلهل ، فلما بلغته قصة الآمر مع الغالية قال :

ألا أبلغوا الآمر المصطفى ... مقال طراد ونعم المقال
قطعت الأليفين عن ألفة ... بها سمر الحي بين الرجال
كذا كان آباؤك الأكرمون؟ ... سألت فقل لي جواب السؤال

فقال الآمر لما بلغته الأبيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وأمر بطلبه في أحياء العرب فقر ولم يقدر عليه فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد! باع أبيات الحي بثلاثة أبيات . وفي خطط المقريزي أن الهودج بقي متنزها للخلفاء الفاطميين بعد الآمر الى أن خرب وجهل مكانه بالروضة .

قلنا ما اشبه الليلة بالبارحة فقد وقع لوالي مصر عباس باشا الكبير المتولي سنة ١٢٦٤ مثل ماوقع للآمر في بدئه ونهايته فانه كان مشغوفا بالحياة البدوية أيضا فزوجه وأسكنها قصرا في ضاحية من القاهرة وصار يتردد عليه خفية ثم كانت نهاية أمره أنه قتل غيلة في قصره بينها سنة ١٢٧٠ قتله مملوكان من الجركس باغراء رجال الدولة العثمانية على ماقيل لأنهم آنسوا منه ميلا للخروج عن طاعتهم والاستقلال بمصر ، وقد أدركنا الناس في مصر يلهجون بحديث البدوية ويروون فيه روايات شتى ، وسمعنا العامة يلوكون أغنية قيلت في ذلك الزمن أولها (ياحالي ع البدرية) وقليل من أهل مصر الآن من يعرف هذا الخبر وهو من غريب مايتفق وقوعه للملكين في مملكة واحدة .

القلعة الصالحية : وفي أواخر الدولة الأيوبية بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل محمد قلعته بهذه الجزيرة وأنشأ بها الدور والقصور وغرس الأشجار وبنى بها جامعا وعمل لها ستين برجا وأنفق عليها اموالا جمة فعرفت بالقلعة الصالحية وبقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة واحتاج بسببها الى هدم أماكن كثيرة من دور وقصور ومساجد ليدخلها فيها وخرب الهودج والمختار ، ويقال إنه قطع من الموضع الذي أنشأها فيه ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى للملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه ، ولما كملت جعلها مقر ملكه وسرير سلطانه وأسكن بها جنوده البحرية (١) وشحنها بالاسلحة وآلات الحرب وما يحتاج اليه من الاقوات خشية محاصرة الافرنج فانهم كانوا حينئذ عازمين على قصد البلاد المصرية . وكان سور هذه القلعة الشرقي مطلا على فرع النيل الشرقي الذي بين الجزيرة ومصر وكان بها الايوان الملكي العديم المثال ، وفيها يقول ابن سعيد الاندلسي وكنت اشتي في بعض الليالي

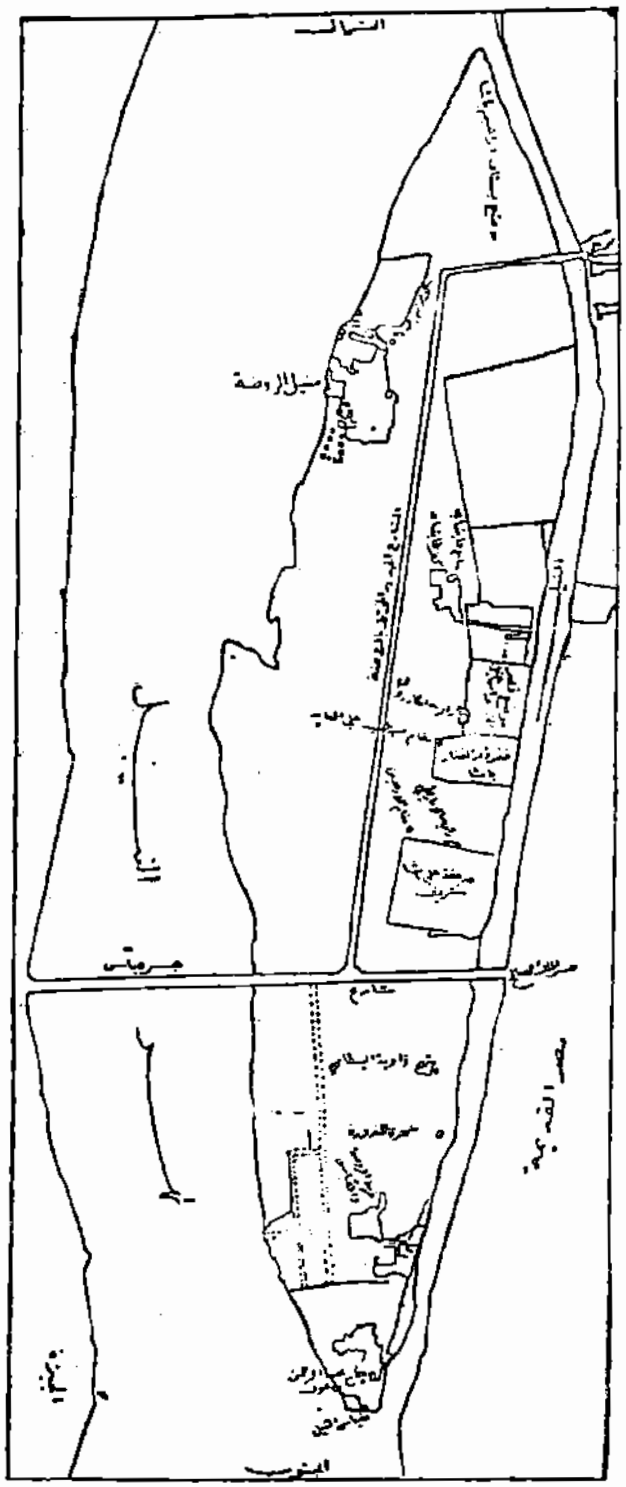

مصور الروضة

بالفسطاط على ساحلها فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدري اللون ولم أنفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية . ما ارتفعت اليه همة بانيها وهو من أعظم السلاطين همة في البناء

(١) كان منهم بعد ذلك ملوك الدولة التركية البحرية التي خلفت الايوبية ولقبوا بالبحرية لسكناهم في النيل في هذه القلعة

وأبصرت فى هذه الجزيرة ايوانا لجلوسه لم تر عيى مثاله ولا أقدر ما أتفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام الانيوسى والكافورى والمجزع ما يذهل الأفكار ويستوقف الابصار ويفضل عما أحاط به السور أرض طويلة وفى بعضها حاظر حظر به على أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج تتقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر ، وقد تنزهت كثيراً فى طرف هذه الجزيرة ممايلى بر القاهرة فقطعت فيه عشيات مذهبات ، لم تزل لأحزان الغربة مذهبات ، انتهى . واستيعاب ماقيل فى محاسن هذه القلعة يطول ويخرج بنا عن المقصود

ولما ملك المعز أيبك التركمانى أول ملوك الدولة التركية البحرية أمر بهدم هذه القلعة ليعمر منها مدرسته المعزية واقتدى به ذوو الجاه فأخذوا كثيرا من سقوفها وشبابيكها وغيرها ، ثم لما ملك الظاهر بيبرس البندقدارى اهتم باعادتها كما كانت فأصلح بعض ماتهدم منها ، ولما تولى المنصور قلاوون نقل منها مايحتاج اليه فى بناء البيمارستان والقبة المنصورية ، ثم نقل منها ابنه الناصر محمد ماالتاج اليه فى أبنيته فدب اليها الخراب الى أن ذهبت كأن لم تكن . قال المقريزى وبقى من أبراجها عدة قد انقلب أكثرها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل . قلنا أما موضعها بالروضة فقد صرح ابن اياس (ج ١ ص ٨٣) أنها بنيت بالقرب من المقياس أى فى الجهة الجنوبية للجزيرة ، ونقل الامام السيوطى فى كوكب الروضة فى كلامه على جامع الريس المعروف اليوم بزاوية البسطامى نصوصا من التوقيع الذى كتبه الملك المظفر بيبرس الجاشنكير لمنشئه يعلم منها ان هذا المسجد بنى موضع برج الطراز أحد أبراج هذه القلعة . وقال ابن دقماق فى الانتصار بناه الرئيس صدقة على أول برج من أبراج قلعة الروضة . وذكر السيوطى أيضا فى كلامه على جامع المقياس المعروف اليوم بجامع عبد الرحمن بن عوف ان الملك الصالح عمره بقلعة الروضة ونرى فى المصور الملحق بهذه المقالة أن كلا المسجدين فى الجهة الجنوبية من الجزيرة . وقد ظهر لنا من هذا ومما استخلصناه من اقوال غيرهم من المؤرخين ان هذه القلعة كانت فى الثلث الجنوبى للجزيرة آخذة من مقياس النيل فى المواضع الشمالية منه الى زاوية البسطامى الواقعة فى موضع برج الطراز أول برج من أبراجها من الشمال وأنها كانت مطلة من الشرق والغرب على فرعى النيل الصغير والكبير ، ومما يدل ايضاً على إشرافها على النيل من الجانبين قول ابن سعيد الاندلسى فى وصفها « وركبت مرة هذا النيل أيام الزيادة مع الصاحب محيى الدين بن ندا وزير الجزيرة وصعدنا الى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تلألأ والنيل قد انقسم عليها فقلت :

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت ... وأبراجها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغراء كالبدر طالعا ... تفرج صدر الماء عنه هلالا
ووافى اليها النيل من بعد غيبة (١) ... كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها ... فمد يمينا نحوها وشمالا

فانه أبان بتشبيهه ماء النيل بالهلال عن استدارته بطرفها الجنوبى ، ثم أبان عن امتداده فى جانبيها بتشبيه بمشوق يعانقها باليمين والشمال واذا عرفنا ذلك وعرفنا فيما تقدم ان المختار والهودج كانا مطلين على النيل وان الملك الصالح خربهما ليدخلهما فى القلعة كما تر ماخربه من الاماكن ، تبين لنا أنهما كانا فى الجهة الجنوبية أيضاً . والغالب على الظن انهما كانا على الفرع الكبير للنيل الذى بين الجزيرة والجيزة أى فى أحد المواضع الواقعة بين المقياس وجسر عباس لأن المختار أنشئ موضع الصناعة ويستبعد ان تكون الصناعة على الفرع الصغير الشرقى .

قصر نجم الدين : ذكر الفرنسيس فى كتابهم وصف مصر (ج ١٥ ص ٤٥٠ و ٤٦٥) انهم أدركوا من الاحتلال بقايا قصر بالمقياس ملاصق له من الشرق ومطل على الفرع الشرقى للنيل يعرف بقصر السلطان الملك الصالح نجم الدين (٢) ولم يكن باقياً منه وقتئذ غير قاعة كبيرة تتصل بها عدة أماكن أكثرها خرب ، وهو بلا ريب من قصور القلعة الصلاحية ، ولعل الذى حفظه من الدثور عناية الدول فى كل جيل بالمقياس وأبنيته ، ولكن يظهر لنا أن الذى أدركوه منه لم يكن من الأبنية الصلاحية القديمة بل كان مما جدده فيه السلطان الغورى من القاعات والمساكن . ومما يذكر عن هذا القصر نزول السلطان سليم العثمانى به مدة مقامه بمصر فانه لما تم له فتحها وصفا له الوقت بعد قتل السلطان طومان باى استطاب السكنى بالروضة فانتقل اليها ونزل بالمقياس . قال ابن اياس فى حوادث ربيع الثانى من سنة ٩٢٣ هـ « وفى يوم الاثنين سادسه أشيع أن ابن عثمان عدى الى المقياس وكان فى ذلك اليوم رياح عاصفة فكاد يغرق ، فلما سلم من الغرق أقام بالمقياس ونقل وطاقه (٣) الى الروضة ومصر العتيقة ، ثم ان

(١) كذا فى نسختين من كوكب الروضة للسيوطى والذى فى نسخ خطط المقريزى (من بعد غاية)

(٢) جاء فى كتاب الفرنسيس انه (الملك الصالح نجم الدين بن الملك العادل) وهو خطأ صوابه الملك الصالح نجم الدين بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل

(٣) الوطاق محرف عن أوتاق أو أوتاغ وهو فى التركية الخيمة الكبيرة التى للعظماء والمراد هنا مخيم السلطان وحاشيته وحرسه .

أمراءه طردوا السكان الذين بالروضة وبمصر العتيقة وسكنوا فى دورهم فحصل للناس الضرر الشامل بسبب ذلك فأعجبه المقياس فأقام به مدة أيام (١) » . ثم إنه أنشأ منظرة من خشب فوق المقياس جعل اقامته بها وهى التى سماها ابن أياس بالقصر(٢) فقال عنها فى حوادث جمادى الثانية من هذه السنة « وفيه أشيع أن السلطان سليم (٣) شاه أنشأ له قصراً من خشب بالمقياس من فوق القصر الذى أنشأه السلطان انصورى فوق بسطة المقياس وصار يجلس به فى اليوم الحر وأحضر جماعة من النجارين والبنائين وشرع فى بنائه حتى فرغ منه فى أيسر مدة » . قلنا وفى هذه المنظرة حاول (قانصوه العادلى) أحد أمراء الجراكسة قتله انتقاما لطومان باى وقومه ذكر ذلك ابن زنبل الرمال فى تاريخ فتح السلطان سليم لمصر فقال معبراً عن هذه المنظرة بالطيارة (٤) « فدبر فى نفسه أن يلبس مثل العرب ويأخذ معه جماعة من أهل القوة وينزل الى مركب ليلا ويسيربها تحت المقياس ويجعل له سلم تسليم ويصعد عليه وينزل الى داخل المقياس ويقتل السلطان سليما ويأخذ بثأر قومه وما علم أن الحى ما له قاتل (٥) ثم إنه فعل ذلك حتى وصل الى الطيارة التى فوق المقياس وهى محل السلطان فوجد الحراس مستيقظين » الخ وعبر عنها الاسحاق فى تاريخه بالكشك متابعة للأتراك فقال « وكان مقام السلطان سليم بالروضة وبنى له كشكا فوق قاعات المقياس وهو مشرف على بحر النيل والروضة والمقياس ، ولما رحل السلطان سليم منه أقفل ومنع من يجلس فيه حرمة لمولانا السلطان سليم » . وروى قطب الدين الحنفى فى تاريخ مكة المسمى بالاعلام أنه رأى بيتين من الشعر كتبهما السلطان سليم بخطه على رخامة بهذا (الكوشك) مدة مقامه به فقال « ورأيت بيتين بالعربى بخطه الشريف كتبهما على رخامة المقياس فى (الكوشك) الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وسكن الروضة وقد امحى لطول الزمان مداده ، ومال الى لون البياض سواده ، وكان هذا (الكوشك) محترما مقفلا لا يصل اليه احد لعظمة بانيه ، ولا يتنذل بالدخول اليه تعظيما لراعيه ، فلما قدمت مصر فى سنة ٩٤٣ وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكوشك لبكربكى (مصر يومئذ خسرو باشا وكنت مصاحبا لمعلمه مولانا عبد الكريم العجمى فطلع وأطلعنى معه فى صحبة خسرو باشا المذكور فرايت مكتوبا على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تكاد تظهر الا بتأمل ، هذين البيتين وهما

الملك لله من يظفر بنيل غنى ... يرد ده قسراً ويضمن منه ما ادركا
لو كان لى من الدنيا قدر أنملة ... فوق التراب لكان الأمر مشتركا

وتحتهما ما صورته (كتبه سليم (٢)) بذلك الخط وذلك القلم ولعمرى ان كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما غاية فى البداعة ، ونهاية التمكن من الصناعة ، فيدل على تمكنه رحمه الله أيضا فى اللسان العربى لأنهما من أعلى طبقات الشعر العربى الفصيح البليغ المنسجم وان كان قد تمثل بهما وهما لغيره فهذه أيضا مرتبة عالية فى حسن التمثيل ولطف الاستحضار لفهم الأشعار العربية والذوق لها وهذا القدر يستكثر على علماء الروم وعلماء العجم المكبين على علوم العربية فضلا عن سلاطينهم المشغولين بضبط الممالك ، انتهى . قلنا البيتان

(١) كانت اقامته بالروضة من هذا التاريخ الى ١٦ رجب من هذه السنة وقد سافر فى خلال هذه المدة مرة الى الاسكندرية ثم عاد الى الروضة ثم انتقل الى دار فى بركة الفيل ثم رحل الى القسطنطينية .

(٢) و (٤) ما زالت العامة بمصر تطلق القصر على العلية المتازة بالدار والانفراد عن حجر الدار كما شهد ابن اياس وكثيراً ما يستعمل لها المؤلفون الطيارة كما فى قول ابن سعيد الاندلسى فى وصف القسطاط لما ورد مصر « وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل » والعامة الآن تطلق الطيارة على عريش يرفع على خشبات لحارس البيدر ويرادفها فى هذا المعنى من الفصيح القنزر بفتح فسكون وقد استوفينا الكلام على هذه الكلمة وما استعملت فيه فى معجم العامية المصرية أدانا الله على اتمامه .

(٣) لم يتبين لنا تساهلا وانما لعدم مع الذى بعده مركباً تركيباً مزجياً .

(٥) مثل معروف عند العامة بمصر الى الآن وذكره الجبرتى فى ترجمة كيخيا محمد المتوفى سنة ١١٠٦ فقال « واتفق ان احد البغادلى أقام مدة يرصد المترجم بمر من عطفة النقيب ليضربه ويقتله الى أن صادفه فضربه بالبندقية من الشباك فلم تصبه وكسرت زاوية حجر وأخبروه أنها من يد البغادلى فأعرض عن ذلك وقال الرصاص مرصود والحى ماله قاتل » .

(١) يرسمه الأتراك بواو بعد الكاف هكذا (كوشك) وهو بضم الكاف وسكون ما بعدها أى باجتماع ثلاثة سواكن ومعناه عندهم المنظرة تتخذ من الخشب أو البناء للبساتين والمتنزهات وقد يطلقونه على القصر الصغير وعربه العرب بالموسق بفتح فسكون ففتح

(٢) من الرتب العثمانية ومعناه أمير الأمراء وكان ولاة مصر العثمانيون من أصحاب هذه المرتبة عادة وقد يكونون فى بعض الأحيان من الوزراء .

(٣) كذا فى ثلاث نسخ من الاعلام وقد نقل الاسحاق فى تاريخه هذا الخبر عن هذا الكتاب نفسه بزيادة لفظ الفقير وفى صحائف الاخبار لرئيس المنجمين المولى أحمد درويش الذى ترجمه الى التركية احد تلاميذ الشاعر ان الذى كتبه السلطان تحت البيتين (خادم الفقراء سليم)

معروفان لأبي العلاء المعري في لزوم ما لا يلزم وصحة العجز في البيت الأول (يردده قسرا وتضمن نفسه الدركا) ، واما القصر وما يتبعه من الأبنية فلم يبق لها أثر ودخلت كلها في قصر حسن باشا المناسترلي وحديقته .

الجزيرة في حكم الأسرة المحمدية العلوية :

في زمن العزيز محمد علي أنشأ ولده العزيز ابراهيم في خرطوم الجزيرة الشمالي بستانا كبيرا جلب له الأشجار الغريبة من البلاد البعيدة وبنى به منظرة عالية ومغارة مجللة بالودع ، وقد أدركنا بقايا ذلك .

وكان من مزايا هذا البستان احتواؤه على أنواع كثيرة من الاشجار والنباتات المحتاج اليها في الطب ، ومن طالع كتاب المادة الطبية للرشيدي المسمى عمدة المحتاج (١) يرى عجبا مما كان فيه من هذه الانواع ، وكان قصد العزيز ابراهيم رحمه الله الاستغناء بها عن جلب العقاقير من البلاد الافرنجية بقدر المستطاع .

وقد أنشأ أمراء ذلك العصر وسراته القصور والبساتين الأنيقة بالجزيرة ، وكان للخديو اسماعيل بن العزيز ابراهيم قصر بديع في وسطها على الشاطىء الشرقي تحيط به حديقة غناء ثم أهملت من بعدهم وهجرت فدب اليها الخراب وادركناها جميعها وهي خاوية على عروشها ، وانحط شان الجزيرة الى ان أنشئت فيها الجسور الثلاثة : جسر محمد علي ، وجسر الملك الصالح بينها وبين مصر القديمة ، وجسر عباس بينها وبين الجيزة ، فعاد اليها الانتعاش وأقبل الناس على البناء بها فهدمت قصورها وبيعت أراضيها قطعا وامتلأ الثلث الجنوبي بالدور الصغيرة والكبيرة ولكن على الطراز الأفرنجي الجديد وقطع ما كان بها من الشجر والنخل وحطمت عروش الكروم فعريت من الظلال وزالت عنها مسحة الملاحة القديمة بعد أن كانت بيساتينها وحقولها قرة للعيون وفرجة للمحزون . ؟

---

(١) عمدة المحتاج في علي الادوية والعلاج للسيد احمد بن حسن الرشيدي الطبيب النطلي المتوفى سنة ١٢٨٢ طبع في بولاق سنة ١٢٨٣ في أربعة أجزاء كبيرة ثم عمل له السيد حسين عودة الطبيب بدمشق وأحد تلاميذ مدرسة الطب المصرية فهرسا مفصلا في جزء لطيف طبع سنة ١٢٨٨ وكانت وفاته سنة ١٣٣٢ عن نحو ثمانين سنة .

أبو عبد الله
آخر ملوك الأندلس

للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ١ —

مأساة شهيرة في التاريخ الاسلامي ، هي مصرع غرناطة آخر معقل للاسلام بالاندلس ، وشخصية محزنة هي شخصية آخر ملك أندلسي مسلم ، طويت على يده تلك الصفحة المجيدة الباهرة التي افتتحها موسى وطارق في تاريخ الاسلام باسبانيا قبل ذلك بثمانية قرون

لبث الاسلام في اسبانيا خلال هذه القرون الثمانية يغالب النصرانية وتغالبه ، والاسلام مذ انهار صرح الدولة الاموية دائم الخلاف والتفرق ، سائر أبدا في طريق الضعف والانحلال ؛ والنصرانية تجتمع دائما على غزوه ونضاله ، وتنزع منه تباعا قواعده وثغوره ، حتى إذا جاء القرن الثامن لم يبق من دولة الاسلام الشامخة بالأندلس سوى مملكة غرناطة الصغيرة ، تواجه وحدها داخل الجزيرة عدوها القوي . وسطعت هذه الاندلس الصغيرة مدى حين ، ولكنها لم تنج من خطر التفرق ؛ واسبانيا النصرانية أثناء ذلك متربصة بها تكاد تلتهمها من وقت الى آخر ، لولا أن كانت صولة الاسلام في الضفة الأخرى من البحر — في المغرب الاقصى — تروعها وتردها . وكانت مملكة غرناطة كلما تبينت شبح الخطر الداهم تستغيث بجارتها المسلمة القوية فيما وراء البحر ، دولة بني مرين . ولكن بني مرين لم يستجيبوا دائما الى دعوة الاسلام المحتضر بالأندلس ، وكانت لهم أحيانا مطامع ومشروعات في الأندلس ذاتها . وكانت اسبانيا النصرانية كلما استيقنت تصرم العلائق بين الشقيقتين انقضت على الأندلس فاقتطعت منها ثغرا أو قاعدة جديدة . وكان رجالات الأندلس يستشفون من وراء ذلك خطر الفناء المحقق ، بل لقد استشعر به ابن الخطيب وزير الأندلس وكاتبها الكبير قبل تحققه بأكثر من قرن ، وصرح به في إحدى رسائله إلى ملك فاس اذ يدعوه إلى غوث الأندلس ونجدتها ويقول: «ولا شك عند عاقل أنكم إن انحلت عروة

تأميلكم أو أعرضتم عن ذلك الوطن استولت عليه يد عدوه » (١)
وهكذا نرى الأندلس منذ أوائل القرن التاسع الهجرى تسير بسرعة فى طريق الانحلال والفناء ، حتى إذا كانت أواخر هذا القرن لم يبق للاسلام فى أسبانيا سوى مملكة غرناطة الصغيرة وفيها مدن وثغور قلائل تتربص بها النصرانية وتعد العدة لسحقها

وكان على عرش غرناطة يومئذ السلطان أبو الحسن على بن سعد النصرى الاحمر . ولى الملك سنة ٨٧١ هـ (١٤٦٦ م) ، ولكنه لم يستخلص الملك لنفسه إلا بعد نضال عنيف بينه وبين منافسيه وعلى رأسهم أخوه أبو عبدالله المعروف « بالزغل » . وكانت الحرب الاهلية تضطرم فى مملكة غرناطة كلما لاحت فرصة للتنازع على العرش . فلما استقر أبو الحسن فى عرشه ، أبدى همة فائقة فى تحصين المملكة وتنظيم شئونها ، وبث فيها روحا جديدا من البأس والطمأنينة ، واستطاع ان يسترد عدة من الحصون والقواعد التى افتتحها النصارى ؛ ولاح للنصرانية أن الأندلس المحتضرة تكاد تبدأ حياة جديدة . بيد أن هـــذا البعث الخلب لم يطل أمده . ذلك أن عوامل الخلاف الخالدة عادت تعمل عملها ، وبذر أبو الحسن حوله بذور السخط والغضب بما ارتكبه فى حق الأكابر والقادة من العسف والشدة ، وبما اغرق فيه من صنوف اللهو واللعب . وكان أبو الحسن قد اقترن بالأميرة عائشة ابنة عمه السلطان أبى عبد الله الأيسر ، ورزق منها ولدين هما محمد ويوسف . ولكنه عاد فاقترن بنصرانية رائعة الحسن تعرف فى الرواية العربية « بثريا الرومية » . وتقول الرواية الاسبانية إن « ثريا » هذه كانت ابنة عظيم من عظماء اسبانيا هو القائد (سانكو كنيس دى سوليس) وأنها أخذت أسيرة فى بعض المعارك وهى صبية فتية ، وألحقت وصيفة بقصر الحمراء ، فهام أبو الحسن بجمالها حبا ، ولم يلبث أن تزوجها واصطفاها على زوجه الأميرة عائشة المعروفة « بالحرة » تمييزا لها من الجارية الرومية أو إشادة بعفتها وطهرها (٢) ولم يكن اقتران السلطان بنصرانية بدعة ، ولكنه تقليد قديم فى قصور الأندلس ، وقد ولد كثير من خلفاء الأندلس وأمرائها العظام من أمهات من النصارى مثل عبد الرحمن الناصر وحفيده هشام المؤيد . وكان لهذا التقليد أثره السيء فى انحلال عصبية الدولة الاسلامية ، بيد انه كان أشد خطرا وقت الانحلال العام . وكان وجود أميرة أجنبية فى قصر غرناطة تستأثر بالسلطان والنفوذ فى هذا الظرف العصيب ، عاملا جديدا فى إذكاء عوامل الخصومة والتنافس . ذلك لأن « ثريا » أعقبت من السلطان أبى الحسن ولدين ، وأرادت أن يكون العرش لأحدهما ، وبذلت كل ما استطاعت من الاغراء والدس لابعاد خصيمتها الأميرة عائشـــة عن كل نفوذ وحظوة ، وحرمان ولديها محمد ويوسف من كل حق فى الملك ، وكان أكبرهما محمد ولقبه أبو عبد الله ولى العهد المرشح للعرش . فنزل أبو الحسن عند سعى حظيته وأقصى عائشة وولديها عن عطفه ورعايته : ولا زالت ثريا فى سعيها ودسها حتى اعتقلهم أبو الحسن فى أحد أبراج الحمراء وضيق عليهم وأخذ يعاملهم بمنتهى الشدة والقسوة ، فأثار هذا التصرف غضب كثير من الكبراء الذين يؤثرون الأميرة الشرعية وولديها بعطفهم وتأييدهم ، وانقسم القصر وانقسم الزعماء والقادة إلى فريقين خصيمين ، واضطرمت الاهواء والشهوات والأحقاد ، واشتد السخط على أبى الحسن وحظيته التى أضحت سيدة غرناطة الحقيقية ، واستأثرت بكل سلطة ونفوذ

وكانت الاميرة عائشة امرأة وافرة العزم والشجاعة فلم تستسلم إلى قدرها الجائر ، بل عمدت إلى الاتصال بعصبتها وأنصارها ، وأخـــذت تدبر معهم وسائل الفرار والمقاومة . وفى ذات ليلة استطاعت أن تفر من الحمراء مع ولديها محمد ويوسف بمعاونة بعض الاصدقاء المخلصين . وتقدم الرواية إلينا عن هذا الفرار صورا شائقة ، فتقول إن الاميرة استعانت بأغطية الفراش على الهبوط من نوافذ البرج الشاهق فى جوف الليل ، وأبدت فى ذلك من الجرأة والشجاعة ما يخلق بأبطال الرجال . وكان ذلك فى ليلة من ليالى جمادى الثانية سنة ٨٨٧ هـ (١٤٨٢ م) . واختفى الفارون حينا حتى قويت دعوتهم وظاهرهم فريق كبير من أهل غرناطة ، وظهر الامير الفتى محمد أبو عبد الله فى رادى آش حيث جمع عصبته وأنصاره ونشبت الثورة وانقضت العاصفة على أبى الحسن ، وكانت عصبته أقلية ففر إلى مالقة وكان بها وقتئذ أخوه الأمير أبو عبد الله محمد

---

(١) المقرى فى أزهار الرياض - (تونس) ص٥٦

(٢) راجع Irving : Conquest of Granada: ج١ حيث يقول الرواية الاسبانية عن شخصية ثريا (الفصل التاسع) . ولكن الرواية العربية لاتذكر إلا أن «ثريا» كانت جارية رومية - راجع المقرى فى نفح الطيب « ج ٢ ص ٦٠٨ » وأخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر « طبعة بيلر » ص٦ - ويتفق برسكوت مع الرواية العربية Hist - of Ferdinand and Isabella P.219

ابن سعد (المعروف بالزغل) يدافع عنهـــا جيشا جرارا من النصارى سيره ملك قشتالة (فرديناند الخامس) لافتتاحها . وجلس أبو عبد الله محمد بن السلطان أبي الحسن مكان أبيه على عرش غرناطة (أواخر سنة ٨٨٧ هـ) وأطاعته غرناطة ووادى آش وأعمالهما وبقيت مالقة وغرب الاندلس على طاعة أبيه . وكان أبو عبد الله يومئذ فتى فى نحو الخامسة والعشرين

وكان ملك قشتالة يرقب سير الحوادث فى مملكة غرناطة بمنتهى الاهتمام . فلما اضطرمت نار الحرب الأهلية ولاحت له فرصة الغزو والفتح ، سير جيشه الى مالقة لافتتاحها ولكن المسلمين تأهبوا لرد النصارى بعزم وقوة وهزموهم فى عدة مواقع فيما بين مالقة وبلش (فيليز Velez) وهزم النصارى فى ظاهر مالقة هزيمة ساحقة وقتـا وأسر منهم عدة آلاف بينهم عدة من الزعماء والاكابر (صفر ٨٨٨ هـ — مارس ١٤٨٣ م) وكان منظم هذا الدفاع الباهر الامير أبو عبد الله « الزغل » فانتعشت آمال المسلمين نوعا وسرت الحماسة إلى غرناطة واعتزم ملكها الفتى أن يحذو حذو عمه الباسل فى الجهاد والغزو وأن يغتنم فرصة اضطراب النصارى عقب الهزيمة ، فخرج فى قواته فى ربيع الاول من هذا العام (ابريل ١٤٨٣) متجها نحو حصن قرطبة شمال شرقى غرناطة ؛ واجتاح فى طريقه عددا من الحصون والضياع ، ومزق النصارى فى عدة معارك محلية ؛ ثم ارتد مثقلا بالغنائم يريد العودة فأدركه النصارى فى ظاهر قلعة اللشانة (لوتشينا Lucena) وكان يزمع حصارها : ونشبت بين الجيشين معركة هائلة ارتد فيها المسلمون إلى ضفاف شنيل والنصارى فى اثرهم ، فهزم المسلمون هزيمة شديدة وغرق كثير منهم فى شنيل . وقتل وأسر كثير من قادتهم وفرسانهم ، وكان بين الاسرى السلطان أبو عبد الله محمد نفسه ، عرفه الجند النصارى من الاسرى أو عرفهم بنفسه خشية الاعتداء عليه وأخذوه إلى قائدهم الكونت كابرا ، فاستقبله بحفاوة وأدب وأنزله بأحد الحصون القريبة تحت رقابة حرس قوى ، وأخطر فى الحال ملكى قشتالة بالنبأ السعيد ؛ وعاد المسلمون إلى غرناطة دون ملكهم ، فارتاعت غرناطة للنكبة واضطرب الشعب ؛ واجتمع الكبراء والقادة وقرروا استدعاء أبى الحسن السلطان المخلوع ليجلس على العرش ، ولكن أبا الحسن كان قد هده الاعياء والمرض وفقد بصره ولم يستطع أن يضطلع طويلا بأعباء الحكم ، فنزل عن العرش لأخيه محمد أبى عبد الله « الزغل » حاكم مالقة وارتد الى المنكب فأقام بها حينا حتى توفى ، وجلس « الزغل » على العرش يدير شئون المملكة وينظم الدفاع عن أطرافها

أما السلطان أبو عبد الله بن أبى الحسن فلبث يرسف فى أسره عند النصارى وأدرك ملك قشتالة فى الحال ما للأمير الأسير من الأهمية ، وأخذ يدبر افضل الوسائل للاستعانة به فى تحقيق مآربه فى مملكة غرناطة . وبذل أبو الحسن حين عوده إلى العرش مجهودا لافتداء ولده لا حبا فيه وشفقة عليه ، ولكن لكى يحصل فى يده ويأمن بذلك شره ومنافسته ، وعرض على فرديناند نظير تسليمه أن يدفع فدية كبيرة وأن يطلق عددا من أكابر النصارى المأسورين عنده فأبى فرديناند وآثر أن يحتفظ بالأسير الى حين ، وبذلت الاميرة عائشة من جهة أخرى مجهودا آخر لانقاذ ولدها بمؤازرة الحزب الذى يناصره ، واقترحت على ملك قشتالة معاهدة خلاصتها أن يتولى أبو عبد الله الملك فى طاعة ملك قشتالة ، وأن يدفع له جزية سنوية ، وأن يطلق كل عام عددا معينا من النصارى ، وأن يدفع مقابل إطلاقه فدية كبيرة وأن يفرج فى الحال عن أربعمائة من أسرى النصارى يختارهم ملكهم ، وأن يقدم المعاونة العسكرية كلما طلبت إليه ، وأن يقدم ابنه الوحيد كفالة مع عدد من أبناء الأسر الكبيرة (١) ومع أن عقد هذه المعاهدة كان خطوة كبيرة فى سبيل القضاء على مملكة غرناطة ، فان فرديناند رأى قبل عقدها أن يستغل أسر ملك غرناطة وأن يستعين به على تنفيذ برنامجه الحربى . وكان أبو عبد الله (٢) أميرا ضعيف العزم والارادة ، قليل الحزم والخبرة ، كثير المطامع والاهواء ، ولم يكن يتمتع بشىء من تلك الخلال الباهرة التى امتاز به أسلافه وأجداده العظام بنو الأحمر ، وكان الملك والحكم غايته يبتغيها بأى الأثمان والوسائل . وقد ألفى ملك قشتالة القوى فى ذلك الأمير الضعيف المستهتر بحقوق أمته ودينه ، أداة صالحة يوجهها كيفما شاء ، فاتخذه وسيلة لبث دعوته بين أنصاره ومؤيديه فى غرناطة وغيرها ، وليقنع المسلمين بأن الصلح مع ملك قشتالة خير وأبقى ، وسير ملك قشتاله فى الوقت نفسه قواته فى أنحاء مملكة غرناطة لكى تنتزع أثناء الاضطراب العـــام كل ما يمكن انتزاعه من القواعد والحصون الاسلامية ، فاستولت

(١) برسكوت — ص ٣٣٤ — وايرفنج (الفصل التاسع عشر)

(٢) نرى أن نشير هنا إلى أن أبا عبد الله يعرف فى الرواية النشتالية والافرنجية عامة باسم « بوبديل » Boabdil وهو تحريف لابى عبد الله

على عدة منها ، ونشبت من جهة أخرى فى غرناطة حرب أهلية لم تكن بعيدة عن وحى أبى عبدالله وحزبه ، وقامت (البيازين) ضاحية غرناطة بدعوته ، وشغل ملك غرناطة (ابو عبدالله الزغل) باخماد الثورة عن مقاتلة النصارى . وفى نفس هذه الآونة العصيبة أطلق فرديناند سراح أبى عبدالله بعد ان ارتضى عقد المعاهدة التى عرضت عليه مع تعديل يسير فى بعض نصوصها ، وبعد لقاء تم بين الملكين فى قرطبة أعلن فيه أبو عبدالله خضوعه وطاعته لملك قشتالة ، واتفق ان تكون الهدنة لعامين وأن تطبق فى جميع الأنحاء التى تدين بالطاعة لأبى عبدالله . وظهر أبو عبدالله يبث دعوته فى الأنحاء الشرقية والحرب الاهلية قائمة فى غرناطة (اوائل سنة ٨٩١هـ-١٤٨٦م) وبدأت المفاوضة بينه وبين عمه (ملك غرناطة) فى الصلح . ولكن حدث أثناء ذلك أن هاجم النصارى مدينة لوشة جنوب غربى غرناطة واستولوا عليها (جمادى الاولى سنة ٨٩١ هـ) وكان موقف ابى عبدالله أثناء هذه الحوادث مريبا ؛ وكان يمزج الدعوة لنفسه بالدعوة لملك قشتالة ، ويشيد بمزايا الصلح المعقود معه ، ولم يكن خافيا أنه يستظل بمظاهرة النصارى (١) وفى شوال سنة ٨٩١ ظهر أبو عبدالله فى (البيازين) فجأة واجتمع حوله أنصاره ، واعلن الثورة على عمه : ونشبت بينهما الحرب فى ظاهر غرناطة ، وأمد فرديناند حليفه أبا عبد الله بالجند والذخائر والمؤن . واستمر القتال بينهما مدى أشهر . وفى ربيع الثانى سنة ٨٩٢ (١٤٨٧ م) سير فرديناند قواته الى بلش مالقة (فيليز مالاجا) الواقعة على مقربة من ثغر مالقة لتتخذها تمهيدا للاستيلاء على مالقة ، وأدرك أبو عبد الله الزغل أهمية بلش الحربية فهرع إلى الدفاع عنها مع بعض قواته ، وترك البعض الآخر لقتال أبى عبدالله وأهل البيازين ولكن إقدام الزغل وعزمه وشجاعته لم تغن شيئا ؛ وسقطت بلش فى يد النصارى (جمادى الاولى ٨٩٢ - ابريل ١٤٨٧) وعاد الزغل بجنده فيمم صوب غرناطة ؛ ولكنه علم أثناء مسيره أن غرناطة قامت أثناء غيابه بدعوة أبى عبدالله ، وأنه دخلها وتبوأ العرش مكانه (جمادى الاولى) ، فارتد بصحبه إلى وادى آش وامتنع بها ، وانقسمت بذلك مملكة غرناطة الصغيرة إلى شطرين يتربص كل منهما بالآخر : غرناطه وأعمالها ويحكمها أبو عبدالله محمد ، ووادى آش وأعمالها ويحكمها عمه أبو عبدالله الزغل ، وتحقق بذلك ما كان يبتغيه ملك قشتالة من تمزيق شمل البقية الباقية من دولة الاسلام بالاندلس تمهيداً للقضاء عليها ؟ « للبحث بقية »

(١) راجع اخبار الدهر ص ٢٢ و ٢٣ — والمقرى ج ٢ ص ٦١٢

أطلنطس (ATLANTIS)

القارة المفقودة !

للدكتور محمد عوض محمد

فى زعم طائفة من الكتاب أن المحيط الاطلسى الشمالى لم يكن فى جميع العصور بحراً خالصاً ، بل كانت تحتله قارة عظيمة تصل مابين العالم القديم والعالم الجديد . وهذا الزعم هو ما نريد أن نعرض له فى هذا المقال .

من أهم ما يمتاز به المحيط الأطلسى — فى وقتنا هذا — قلة الجزر . فاذا صرفنا النظر عن الجزائر الملاصقة للسواحل ، مما يعده الجغرافيون جزءاً متمما للقارات ، فان هذا المحيط عبارة عن مساحة هائلة من الماء ، ليس فيها من الجزر سوى الشىء القليل جداً .

هذه حالة المحيط اليوم ، لكن هذه لم تكن حالة المحيط فى كل عصر وزمن . فان تعاقب الماء واليابس على الجزء الواحد من سطح الأرض ، من الحقائق الجيولوجية المسلم بها . وليس هنالك خلاف فى أن أمريكا الشمالية كانت متصلة بأوربا ، وأمريكا الجنوبية بأفريقية فى زمن جيولوجى قديم .

غير أن القائلين بوجود جزيرة عظيمة أو عدة جزر كبيرة فى وسط المحيط الأطلسى ما بين ما هو اليوم أمريكا ، وبين ما هو اليوم أوربا وافريقية ، أطلقوا عليها اسم قارة اطلنطس — هؤلاء الكتاب يزعمون أن هذه القارة لم تكن موجودة فى زمن جيولوجى قديم ، يرجع إلى ملايين السنين ، بل إلى عهد حديث جداً ، عهد نشأة الانسان واستعماره لسطح الارض . ولقد يسرف بعضهم فيزعم أن هذه (القارة) كانت موجودة قبل العصر التاريخى ، بحيث كان المصريون القدماء يعلمون من أمرها الشىء الكثير .

من المهم إذن أن نقرر أن الاتصال بين شرق المحيط وغربه فى زمن جيولوجى قديم ، ليس موضع البحث ، وليس هو بالأمر الذى يعنى به هؤلاء الكتاب ، بل الذى يعنيهم وجود اليابس فى هذه المساحة العظيمة التى لا نرى فيها اليوم سوى الماء ، وذلك فى عصر

حديث شهده الانسان فى أول نشأته .

والآن نتساءل : هل هناك من شاهد على صحة مذهب إليه أولئك الكتاب ؟

قبل أن نعرض لآراء أصحاب هذا المذهب يحسن بنا أن نكون على حذر من أمرين : أولهما أن وجود هذه القارة أمر يرتاح اليه الخيال البشرى المولع دائما بالغريب المدهش من المسائل العلمية : وكثير من الكتاب فى هذا الموضوع يبدأون بحثهم وفى نفوسهم رغبة فى أن يثبتوا وجود هذه القارة المزعومة . كالقاضى الذى يبدأ تحقيق الحادث وفى قلبه رغبة فى أن تثبت التهمة على المتهمين . وهذ الرغبة قد تصبغ الأدلة الضعيفة بصبغة قوية . وتحمل الباحث على التغاضى عن مواطن الضعف فيما يعرض له من الحجج .

الأمر الثانى الذى يجب أن نحذره ، هو أن وجود مثل هذه القارة أمر مرغوب فيه جداً من الوجهة العلمية . . . لأنها تصبح مرجعا نرجع إليه فى كثير من المسائل التى صعب علينا فهمها أو تعليلها . فاذا رأينا — مثلا — فى أوربا أو فى افريقية شعباً أو جماعة لا نعرف لها مصدرا ، أمكننا أن نقول بكل بساطة إنها بقية من سكان القارة المفقودة — فالرغبة فى التخلص من بعض المسائل العويصة قد تجعلنا فى اشتياق لأن نسلم بوجود هذه القارة المزعومة وأن نقبل من أجل هذا كثيراً من الافتراضات الواهية الضعيفة .

* * *

إن أول من ذكر قارة أطلنطس فيما بين أيدينا من الكتب هو أفلاطون . فقد حكى فى كتابه (طيماوس) رواية عن أحد أجداده أن صولون حكيم اليونان الأشهر لما قدم الى مصر ، وتحدث إلى كاهن من كهنتها ، أخبره هذا الكاهن أنه كان فى المحيط الأطلسى إلى غرب عمودى الهرقل (بوغاز جبل طارق) جزيرة عظيمة تزيد فى الحجم على ليبية (افريقية) وآسيا الصغرى معاً . وأنها كانت عامرة يسكنها شعب قوى ذو بأس وصولة ، استطاع أن يبسط سلطانه على جميع قارة أطلنطس وعلى ما جاورها من الأقطار فى افريقية وأوربا . وأن سلطان هؤلاء (الأطلنطيين) قد امتد حتى بلغ الى مصر وبلاد اليونان . غير أن اليونان استطاعوا أن يردوهم على أعقابهم .

وهذه القارة العظيمة كانت عرضة للزلازل العنيفة والبراكين الثائرة ، فلم تلبث أن أخذتها الرجفة فهبطت تحت سطح الماء واختفت . وذلك قبل عهد صولون بنحو تسعة آلاف من السنين !

هذه هى القصة التى ذكرها أفلاطون نقلا عن أحد أجداده . وليس هنالك ما يثبت أن هذه القصة قد رواها صولون حقيقة ، وأنها ليست من اختراع أفلاطون نفسه . وعلى كل حال ، وأيا كان مصدر هذه القصة ، فان مجرد روايتها على هذه الصورة ، لا يفيد الباحث عن أمر هذه القارة شيئا .

ان اختفاء جزيرة صغيرة تحت سطح الماء بسبب هبوط فى قشرة الارض ليس بالشىء المستغرب ، وقد يكون اليونان أنفسهم قد شهدوا مثل هذا الحادث فى بلادهم الكثيرة الزلازل ، وهذا وحده كاف لان يوحى إليهم بأن جزيرة قد وجدت ثم اختفت فى وسط المحيط ، ولهذا فان أكثر الباحثين لم يكن يرى فى حديث هذه القارة أكثر من أنه أسطورة جميلة . غير أن كثيرا مما كان يراه العلماء مجرد أساطير قد أثبت البحث العلمى وجوده . وقد أخذ الباحثون يهتمون حديثا بتحقيق أمر هذه القارة .

إن هبوط جزء عظيم من سطح الارض واختفاءه تحت سطح الماء ليس بدعا فى الحوادث الجيولوجية الطويلة المدى ، التى تستغرق عشرات الملايين من السنين . وكذلك ليس بعجيب أن تختفى جزيرة صغيرة تحت الماء فى زمن وجيز بسبب حادث ركانى خطير . لكن الأمر الذى يصعب تصوره هو أن كتلة هائلة من اليابس تهبط نحو ثلاثة آلاف متر فى زمن يعد وجيزا جداً بالنسبة الى ما يستدعيه مثل هذا الانقلاب الخطير فى سطح الارض . وبالطبع ليس اثبات هذا الأمر بالشىء السهل ، لأن أكثر الادلة مقبور تحت قرار البحار ، فى أعماق يصعب جداً الوصول إليها .

ولننظر الآن فى الادلة التى يدلى بها القائلون بصحة هذه الأسطورة .

لعل أول جهة يجب أن يتجه إليها البحث أن نتساءل : هل فى قاع المحيط الأطلسى أو فى جزء من قاعه ما يدل على أن هذا القاع أو هذا الجزء من القاع كان أرضا ظاهرة فوق سطح الماء فى زمن حديث يقدر بنحو عشرة آلاف من السنين ؟ وهل فى السواحل الشرقية والغربية للمحيط ما يدل على أنها كانت الى وقت قريب متصلة ؟

يجب أن نجيب أو أن نحاول الاجابة على هذين السؤالين . ولكن يجب علينا أن نحذر فلا نخلط بين الاتصال الجيولوجى القديم ،

وبين الاتصال الحديث بواسطة قارة أطلنطس المزعومة .

من المعلوم أن قاع المحيطات ليس أرضا مستوية . بل فيه المرتفعات والمنخفضات والسهول والجبال . وقد أصبح ثابتا أن فى وسط المحيط الاطلسى سلسلة جبال طويلة جدا تمتد من شماله إلى جنوبه ، وفى بعض المواضع تظهر طائفة من قمم هذه السلسلة فوق سطح الماء فتتألف منها جزر مثل جزر الأزور . (Azores) فى الشمال وجزيرة الصعود (Ascension) فى الوسط . وجزيرة (ترستان دا كنها) Tristan da Cunha فى الجنوب . وفى زعم القائلين بوجود القارة المفقودة أن جزر الأزور هى البقية الباقية منها . وأن الجزء الاوسط من المحيط الاطلسى قليل العمق لانه هبط حديثا .

كذلك يشير أصحاب هذا الرأى إلى التشابه العظيم بين السواحل الشرقية والغربية للمحيط الأطلسى ، مما يدل على اتصال الساحلين فى زمن قديم . وليس من شك فى هذا التشابه ، لكنه يرجع الى اتصال فى الأزمنة الجيولوجية القديمة . ولا فائدة لأنصار هذا الرأى من الرجوع الى هذا الدليل الذى لا يفيدهم فى قضيتهم شيئا .

أما الأبحاث الخاصة بقاع المحيط الأطلسى ، والتى أريد بها إثبات أن هذا القاع كان الى وقت قريب بارزا فوق سطح الماء ؛ فهى — على قصورها — أقوى البراهين — أو على كل حال أقلها ضعفا — التى يدلى بها القائلون بوجود هذه القارة العظيمة .

وخلاصة هذا الدليل أنه فى عام ١٨٩٨ كانت إحدى السفن تبحث عن سلك تلغرافى قد انقطع فى وسط المحيط الأطلسى ، وفى أثناء بحثها عن هذا السلك كانت تستخرج من قاع البحر قطعا من الطين والصخر ، وقد فحصت هذه المواد فتبين أنها مما تقذفه البراكين الثائرة ، وأن هذه الصخور البركانية كانت مادة منصهرة ذائبة ثم تجمدت وكان تجمدها فوق سطح الأرض لا تحت سطح الماء كما هى حالها اليوم — وذلك لأن حمم البراكين (اللافا) إذا تجمدت فى الهواء كان لها شكل يخالف شكلها إذا تجمدت فى الماء .

والنتيجة التى يراد الوصول إليها من هذا ، هى بالطبع ان هذه البراكين هى براكين قارة أطلنطس وان هذه اللافا قد تجمدت على سطح القارة المفقودة قبل ان تختفى تحت عباب الماء . لكن لابد لنا للوصول الى هذه النتيجة الخطيرة من ان نرى ان هذا الجزء من قاع المحيط الأطلسى الذى استخرجت منه هذه المواد قد كان فى وقت حديث — أى منذ نحو اثنى عشر ألف سنة — بارزا فوق سطح الارض .

ولاثبات هذا الأمر يقول بعض الكتاب انه فى نظر كثير من الجيولوجيين لا يمكن اللافا ان تبقى تحت سطح الماء اكثر من ١٥٠٠٠ سنة ، لانها فى هذه المدة تتحلل عناصرها تماما فلا يبقى لها أثر . إذن فاللافا التى استخرجت من قاع المحيط والتى ثبت أنها قد تجمدت فوق سطح الارض . لابد أن تكون قد غمرتها المياه حديثا — أى أن هبوط القاع حدث فى وقت حديث لا يتجاوز الخمسة عشر الف سنة !

هذه من غير شك أقوى حجة طبيعية يستند اليها القائلون بوجود قارة أطلنطس . ولكنها للاسف لا تخلو من شىء من الضعف . ذلك أنه — على فرض أن ماء البحر يحلل اللافا ويذيب عناصرها فى مدة لا تتجاوز الخمسة عشر ألف عام — يجب أن نذكر أن اللافا عادة تتراكم طبقات بعضها فوق بعض ، ذات غلظ عظيم . وقد يتحلل الجزء الأعلى ويبقى الجزء الأسفل والذى يليه وهكذا . ولابد لها من مئات أو آلاف الأزمنة التى ذكرت قبلا — لكى يتم تحللها جميعا .

فهذه الحجة اذن — وإن لم تخل من قوة — فانها لا تثبت إثباتا قاطعا سوى أن قاع المحيط الأطلسى فى بعض جهاته كان يوما ما قطعة بارزة من اليابس ثم هبط تحت سطح الماء . ولا زلنا فى حاجة الى دليل أقوى من هذا يثبت لنا أن هذا الهبوط كان منذ زمن حديث مقدر بعشرة آلاف من السنين .

كذلك التشابه الذى يشاهد اليوم بين أنواع من الحيوان فى شرق المحيط وغربه ، دليل على وجود قارة أطلنطس ، بل على اتصال قديم جدا فى أزمنة جيولوجية غابرة ، بين طرفى المحيط شرقا وغربا .

فالأدلة الطبيعية قليلة الغناء . ولا يبقى بعدها سوى الأدلة البشرية أو الأنثروبولوجية ، أى التى تتصل بالانسان جنسا أو لغة أو دينا أو تقاليد أو ما شابه ذلك .

وتتلخص هذه الأدلة البشرية فيما يأتى :

١٠ — أنه قد ظهر فى أوربا أثناء العصر الحجرى القديم جنس من الناس طوال القامة عظام الهامة جسان الصورة فى وقت لم يكن فيه بأوربا سوى جماعات من جنس ذى صفات منحطة دنيئة . وقد أطلق العلماء على هذا الجنس العظيم اسم جنس « كرومانيون »

Cro — Magnon (نسبة الى ناحية فى فرنسا وجدت بها هياكل عظيمة كاملة لأفراد من هذا الجنس) . ولا يعرف أحد على وجه التحقيق من أين جاء هذا الجنس ، الذى ظهر فى أوربا فجأة فأحدث فى ثقافتها ثورة هائلة .

والآن يريد أصحاب قارة أطلنطس أن يخبرونا أن هذا الجنس إنما جاء من قارتهم المفقودة !

افتراض جميل سيخلصنا من مشكلة عويصة وهى نشأة هذا الجنس الذى لا نعرف تماما أين نشأ ! ولكن هل من العقل أن نتخلص من مشكلة لكى نقع فى مشكلة أعظم منها ؟

ان القائلين بأن هذا الجنس مصدره القارة المفقودة يزعمون أن هنالك شبها بينه وبين جنس قديم منقرض وجدت بقاياه فى البرازيل . وهذا الزعم لو صح لكان من غير شك حجة قوية لا تدحض . ولكن أكثر علماء الأجناس لا يرى مطلقا وجه شبه بين هذا الجنس البرازيلى القديم الذى وجدت بقاياه فى لاجوا سانتا وبين جنس « كرومانيون » .

٢ — فى أوربا شعب اسمه شعب الباسك Bosque يعيش على حدود فرنسا وأسبانيا . فى الاقليم الملاصق لخليج غسقونية . هذا الشعب القديم يعيش شطره فى فرنسا وشطره فى أسبانيا ويتكلم لغة ليس لها نظير فى لغات العالم كلها . وفى زعم أصحاب نظرية القارة المفقودة أن الباسك هم بقية الأطلانطيين الذين هاجروا من قارتهم الى أوروبا قبل الميلاد بعشرة آلاف سنه . وأن لغتهم تشبه لغات سكان أمريكا الاصليين بينما هى تختلف عن سائر لغات أوربا .

وهذه الحجة البراقة لا تستند هى أيضا على أساس متين ، لأن لغة الباسك لا تزال عقدة العقد . وقد رأى فقهاء اللغات فيها آراء متناقضة متضاربة ، ولم يبلغ العلم فى أمرها الى حل مقبول . وليس القول بأنها تشبه لغات أمريكا بأقوى من الرأى الذى يرى شبها بينها وبين لغات البربر فى افريقية ولغة المصريين القدماء .

٣ — اما الأدلة البشرية الأخرى التى يوردها أنصار قارة أطلنطس ، فتنحصر فى وجود تشابه حقيق او موهوم بين بعض العقائد الدينية والعادات والتقاليد والآلهة فى العالمين القديم والجديد ، وبمجرد ذكر هذه الامور كاف لأن يثبت للقارئ ان هذه الادلة ليست بالشىء الذى يسهل الركون إليه ، ولا نستطيع أن نستند

الشعر والفن

يتمتع قليل من الناس باحساس راق مهذب ، يفعل انفعالا قوياً حينما يشهدون جمال الطبيعة أو يتأملون أسرارها ، وهذا الاحساس السامى لا يصلون إليه من كثرة القراءة والاطلاع ، ولا من كثرة الحفظ والاستظهار ، ولا من تأبط الدواوين والكتب ، وانما يأتيهم من تدريب إحساساتهم وتمرينها على التأثر بجمال الطبيعة والتأمل فيما يغمرها من أسرار ، ويشرق عليها من نظام ، وما يزالون يدربون إحساساتهم ، ويتعهدونها بالتمرين ، حتى إذا أوفوا من ذلك على الغاية ، وضاقت قلوبهم عن حبس ما يجيش فيها من عواطف وانفعالات ، اضطروا اضطراراً إلى اخراج هذا الفيض القلبى متدفقا فى هذه الأنهار الجميلة التى نسميها فنا ، من موسيقى ورسم ونحت وعمارة وشعر ، وما أشبه قلوب هؤلاء الناس بالبؤرة الصالحة ترد إليها أشعة الاحساسات الصادرة عن صور الطبيعة المختلفة ، فتحلل فيها ، ثم تنعكس فكرا جميلة ، وصورا بديعة ، وسرعان ما يجد الفنان نفسه مضطرا إلى ابرازها واظهارها لأنه لا يستطيع أن يؤويها فى نفسه ، ولا يمكنه أن يخفيها فى زوايا قلبه ، فيقدمها للناس فى هذه الثياب الساحرة ، ثياب الفن الجميل فتسترعى ألبابهم ، وتستهوى أفئدتهم .

إليها فى القول بأن تلك الاشياء المشتركة مصدرها واحد وهو هذه القارة المفقودة ، التى انطلق منها فريق الى الشرق وآخر الى الغرب فنشروا آراءهم وعقائدهم وآلهتهم فى عالمين بينهما الآن آلاف من الاميال .

***

وهكذا يرى القارئ أن فكرة قارة اطلنطس لا تزال مفتقرة إلى دليل أقوى مما بايدينا اليوم ، ولكننا على كل حال يجب أن نرتاح إلى أن موضوعها أصبح اليوم معرضاً للبحث العلمى بالاساليب العلمية بعد أن كان مجالا للظن والخيال . ولهذا يسرنا ، أن نسمع الخبر الذى رواه أحد الكتاب فى عدد الشهر الحالى من مجلة فورتنيتلى من أن بعثة ألمانية قد سافرت حديثا إلى إقليم جزر الأزور لتفتش فى قاع البحر عن أدلة جديدة عن هذه القارة المفقودة ..

محمد عوض محمد .

والفنون جميعها تعبر عن عواطف مشتركة ، وتسعى إلى غاية واحدة هى اظهار مافى الكون من جمال، ولهذه الصلة الواضحة بين أنواعها كان لزاما على من يخصص نفسه فى فرع من فروعها أن يزود ما أمكن بالفروع الأخرى ، وأن يتثقف بها ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وقد فقه الغربيون ذلك وعرفوا قيمته فراح شعراؤهم يدرسون الفنون الجميلة ، ويمدون شاعريتهم بما يلذ لهـــا من صنوف طعامها ، وألوان رحيقها ، وبينما هم يجدون فى ذلك مبالغون فيه ، نجد كثيراً من شعرائنا قد استناموا الى حياة شعرية غريبة ، حياة كلها تقليد وقطيعة للفنون ، فهم لايستمدون غذاء شاعريتهم الا من فتات مائدة ، هى هذه الدواوين الشعرية التى ورثوها عن الأقدمين ، يحفظون ألفاظها ، ويجودون أساليبها ويبتغون مثلهم الأعلى فى معانيها وصورها ، فترى الواحد منهم اذا أراد أن يقول شعراً راجع ماقاله القدماء ، والتقط ماتثروه من ألفاظ وأساليب ، ونطقوا به من معـــان وصور ، حتى إذا اجتمعت اليه مجموعة لابأس بها من هذا كله ، سلكها فى هذه السلاسل التى يسميها أوزانا شعرية ، وقد نشأ عن ذلك أن قل الابتكار فى الشعر . وأصبحنا لا نكاد نتأثر أو نحس به لأنه موسيقى متكررة توقع من حين لآخر على نغمة واحدة ، وشاعت السرقات الشعرية عن هذه الطائفة من الشعراء ، فاستباحوا حمى أسلافهم الأقدمين وأغاروا على دواوينهـــم ، واجتلبوا منها سبايا الأساليب والصور ، ولكنها سبايا باردة جامدة لاتنبض قلوبها بحرارة ولابحياة ، والشركات كثيرا ماتعقد فى هذه السبايا ، ولكن الشعر للأسف لايربح منها إلا ألفاظا لاغناء فيها ولاقيمة لها ، ولو كان للشعر العربى حكومة لأخذت على أيدى هؤلاء المتشاعرين الذين لايقعون منا إلا موقع الضوضاء الممقوتة المنكرة ، فحرمت عليهم اجتراح هذا الاثم ، أيا كان لونه ، وأيا كان شكله ، وإذن لاستراح الشعر العربى من عبء ثقيل يتعبه ويشقيه ، ويمرضه ويضنيه

ومما يدعو إلى العجب أن بعض النقاد أخذ يهيب بهؤلاء الشعراء ، ويضع أيديهم على ما هم فيه من عيب ونقص ، علهم يصلحونه أو يتخلصون منه ، ولكنهم يعرضون عنه ، ويصرون على مايخلل آثارهم الشعرية من عيب ، وما يسومها من نقص ، وتضيع من وقت لآخر هذه الدعوات المخلصة ، وتذهب كأنها نفخة فى رماد ، لاتبعث لهبا ولاتوقد نارا ، أو صيحة فى صحراء ، تضيع فى متسع الاجواء ، وتفنى فى منفسح الآفاق ، ولو أنصف هؤلاء الشـــعراء أنفسهم لأصاخوا إلى هذه الدعوات المباركة واستجابوا إليها ، وهل يحسن بهم أن يؤثروا العقم على الانتاج ، أو يستحبوا التقليد على الحرية؟ إنهم لو تدبروا لسارعوا إلى تخليص أنفسهم من ذل الجمود ورق التقليد ، فكوا عن أعناق شعرهم هذه الأغلى التى تحاول أن تخنقه على أن هذه الحياة الجديدة التى نأمل فيهم أن يستبقوا إليها ، لن تكلفهم مشقة كبيرة . فان السبيل إليها سهل ميسر ، وماعليهم إلا أن يلقوا لحبة من نفوسهم على عوالم الفن الاخرى ، فيثقفوا بها ، ويجدوا فى ذلك التثقيف ، حتى يدربوا إحساساتهم ، حاسة حاسة ، تدريبا طويلا ، وأكبر ظنى أن هذا هو السبيل الواضح الذى يصل بهم على عجل إلى غايتهم المنشودة ، ولعل من أمس هذه العوالم الفنية بالشعر عالم الخطوط والحركة ، أو ما يسمونه باسم « الرسم » ففى هذا العالم يستطيع الشاعر أن يمرن إحساساته تمرينا تاما كاملا على التأثر بجمال الطبيعة والانفعال بمشاهدها الرائعة ومظاهرها الساحرة ، ويظن كثير من الناس أن جمال الصورة يتركز فى ألوانها وأضوائها ، ولو كان الامر كذلك ، لكانت الصورة قليلة الجدوى ، والواقع أن جمالها البديع يتركز فى الخطوط وحركاتها واتجاهاتها ، تلك الخطوط التى تعدل الصورة وتقومها وتنتهى بها إلى شكلها الفنى الجميل ، أما الالوان فهى شىء إضافى يلحق بالخطوط بعد تكونها ووجودها ، والشاعر كالمصور لايختلف عنه فى شىء الا فى المادة التى يصور بها ، وإن فى الصورة المجتمعة ، وندرة العناصر ، وتناسب الجمع ، لنوعا ساميا من القوة الالهيـــة كما يقول فلوبير ، وأهمية الصوره فى الشعر ترجع الى أنه لا يعبر عن الحقيقة كما هى وكما نجد عند النثر ، وإنما يتخذ للافصاح عنها طريقا آخر ، هو تمثيلها وتخيلها ، وعرضها فى صور خلابة ورسوم ساحرة ، وهذا هو الذى حدا باليونان منذ القدم إلى أن يخصوا الشعر ببرهان قائم بنفسه ، برهان لايقوم على اليقين ولايتخذ مقدماته من المنطق ، وإنما يقوم على الاقناع والتمثيل ، ويتخذ طريقه من التأثير والتخيل ، ونحن نلحظ مع الأسف أن الشعر العربى لايهتم بالصورة الاهتمام الواجب ، وإنما يضع همه كله فى الألوان والاضواء ، ولانكاد نجد فيه الخطوط الكثيرة التى تخلق الصورة خلقا ، وتبتكرها ابتكارا ، وتعمر قلبها بالحرارة والحياة ، فمعظم شعرائنا يقف هم

من الصورة عند هذا النوع التافه الذى يسمونه مجازا أو كناية ، وما عرفوا أن هذه الاشياء هى أقل أنواع الصور قيمة بل هى فى الواقع لاتزيد على انها طريق من طرق التعبير ، أما الصورة الصحيحة فهى أسمى من ذلك وأرفع ، ولابد فيها من تحضير للمواد طويل ، وجمع للعناصر كثير .

وعلاقة الشعر بالرسم علاقة قوية شديدة ، ولكن يظهر أن علاقته بالموسيقى أقوى منها بأى فن آخر ، فقد نشآ معا ، ولكن تقدم الفنون فصل بعضهما عن بعض فاستقل كل منهما بوظيفة خاصة ، على أن الموسيقى لاتزال تحتل الشعر ولا يزال أثرها واضحا فيه ، والشاعر فى الواقع ليس الا موسيقيا ساحرا يلعب بأنامله على قيثارته الشعرية فيطربنا بأنغامه ، ويشجينا بألحانه ، ويأخذنا بفيض وحيه وقوة الهامه . والواجب على شعرائنا أن يدرسوا الموسيقى ، وأن يعنوا بدراستها عناية كبيرة ، فكثير من الالوان التى يؤديها الشعر ترجع الى الموسيقى نفسها ، ولقد استفاد اليونان قديما من هذه الدراسة فوجدوا طريق الشعر فى العقيدة كلها ، بل فى الرواية التمثيلية على طولها ، واختلاف أشخاصها خلا الشعر الغنائى الذى كان يتخللها ، ولقد كان الرومان يفهمون الشعر على انه غناء أكثر منه شيئا آخر حتى تجوز بعضهم فسمى الشعراء باسم الموسيقيين ، ويقول بعض النقاد إن الموسيقى هى سر السحر فى الشعر وهى نفس صناعته ، وكيفية تأثير الموسيقى الشعرية فيما يختلف فيها النقاد اختلافا كثيرا ، ومهما يكن فهى تحدث تغيرا فى أسلوب الوجدان ، وكل نغمة تصلنا منها تؤثر فى أدراكنا ، وترتفع معها نغمات عاطفية فى نفوسنا ، ولاينكر أحد ما للموسيقى الالفاظ من قيمة فى الشعر ، فهى ذلك الجمال الخفى الذى يستمد من غير المنظور مؤثرات ساحرة بديعة ، ولقد كان شاكسبير يعنى بها عناية فائقة ، حتى قيل إنه يحب الالفاظ من أجل الالفاظ ، لكن ينبغى أن ننبه الى أن موسيقى كل لفظة موجودة معها فى اللغة قبل وجود الشاعر ، ولكن لا ننس أنه هو الذى يختار الالفاظ ، ينتقيها ويجمعها فى سلك واحد فلا نحس تنافرا ولاشذوذا ، وانما نجد جمال التناسب والتوافق يتجلى فوقها ساحرا بديعا ، واللغات نفسها تهتم بموسيقى الالفاظ ، ويتضح هذا فى اللغة العربية فى ألفاظ الاستغاثة والندبة والتعجب فان قدماءنا قلبوا ياء المتكلم التى تنتهى بها ألفاظ يشبعوا النغمة فى هذه الالفاظ ويستتموا بها التأثير فى الوجدان ، وقد زادوا فى ذلك فجعلوا لبعضها حرف نداء مخصوصا هو « وا » ليزيدها قوة فى الصورة ، ويتناسب مع شدتها فى المنطق ، وهم قد فعلوا هذا كله ليدلوا على الانفعال الوجدانى ويكون التأثير فى قلب السامع أوفى وأقوى

وليس من شك فى أن تتابع المقاطع والأصوات وصور النبرات يجعل العقل مستعدا لنغمة خاصة وينقل القلب إلى حالات وجدانية متماثلة ، ويتبين هذا فى أننا نصيح بعد قراءة بيت أو بيتين من الشعر مبينين لسماع مايوافق هذه الحالات الوجدانية التى هيجتها فينا الأصوات والنبرات الأولى ، فاذا فوجئنا بمقاطع ونغمات جديدة أحسسنا بالفرق الظاهر والانتقال الواضح ، على أننا يجب ألا نبالغ فى ذلك ، فان التأثير الذى يفد الينا من الشعر لايأتى من الضغط والمقاطع وتشديد الصوت وقوته ، نعم تؤثر فينا هذه الاشياء تأثيرات مختلفة ، ولكن هذه التأثيرات ليست كل شىء فى الشعر فان قراءة الشعر ليست نغما خالصا ، ولا شكلا غنائيا تاما ؟

شوقى ضيف
بكلية الآداب

ابن خلدون

حياته وتراثه الفكرى

بقلم محمد عبد الله عنان

فيه عرض نقدى مستفيض لحياة المؤرخ الفيلسوف ابن خلدون وتراثه الفكرى والاجتماعى ، ووصف ضاف لآثاره ومنهجه واسلوبه ، واستعراض لجميع المباحث الغربية النقدية التى صدرت عنه وعن تراثه . يقع فى مائتى صفحة طبع دار الكتب . ويطلب من مؤلفه بلجنة التأليف والترجمة والنشر ومن جميع المكاتب وثمنه ٨ قروش عدا البريد

التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

— ٢ —

نباح الكلاب فى الليل

من الخرافات الفاشية عند أكثر الأمم وبين الفلاحين عندنا ، التشاؤم من اهلال الكلب ، أى الصياح بين الانين والنباح الغير العادى فى الليل ، ويسميه أهل الشام « العواء المقلوب » وفيه يقف الكلب وقفة متفكرة ينظر فيها الى القمر ، ويشرع فى عوائه الغريب الذى يكاد يقرب من عواء الذئب ، فيظن من يراه على هذه الحالة انه يدعو على أحد ، ويناجى القمر لعله يساعده على جعل هذه الدعوة مستجابة ، فيتشاءمون من هذا الصوت ويقولون أنه نذير شؤم يقع منه موت لأحد الناس . وأسلافنا المصريون هم فى الاغلب الأصل فى هذه الخرافة ، فقد كانوا يؤمنون أن عزرائيل يتشكل فى شكل ابن آوى ، وكانوا يرسمونه فى حفلات الجنازة والموت والحساب ، وابن آوى يشبه الكلب كثيرا فى هيئته ، وربما كان له وللكلب قديما اسم واحد ، أو ربما كان الاعتقاد سائدا بأن الكلب يتلاقح مع ابن آوى ، فلا زالت عقائد المصريين من الناحية الدينيـــة الرسمية بقيت بين الفلاحين وانتشرت بين عامة الأمم الأخرى .

وربما يرجع هذا التشاؤم الى الاعتقاد بأصل النجاسة التى يوسم بها الكلب عند العرب ، ولكن يجب ألا نبالغ فى الاعتقاد بنجاسة الكلب فان من العرب من كان يحله ويرعاه ، ويعرف له فضله فى الأمانة والحرص على مصالح مولاه . وقد قال كعب « فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب » ، تصنيف الامام أبى بكر بن خلف المرزبان فى سنة ٣٨١ هجرية :

« والكلب أيدك الله منافعه كثيرة فاضلة على مضاره بل هى غامرة لها وغالبة عليها . ولم تزل القضاة والفقهاء والعباد والولاة والنساك الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينكرون اتخاذها فى دورهم ، وهم مع ذلك يشاهدونها فى دور الملوك . فلو علموا أن ذلك يكره لتكلموا ونهوا عن اتخاذها . بل عندهم أنهم إذا قتلوا الكلب كان فيه عقوبة . »

وعلى هذا النسق مضى المؤلف يعدد فضائل الكلاب ، وأتى فى الكتاب بطائفة من الاقوال البارعة والابيات اللطيفة التى قيلت فى الكلاب ومنها يتبين للقارىء نظر العرب لهذا الحيوان .

القط

يتشاءم بعض الناس بأن القط الاسود مجلبة للشر وطالع نحس وعنوان كل كارثة مقبلة . . . ويتطير الغربيون بالقط الاسود اذا عبر طريقهم . وكان الانجليز حتى عهد قريب يحتفلون سنويا بمدينة « شرفيلد » بالاتيان بقطة سوداء ، رمز الظلام ، ويضربونها بالسوط حتى تموت .

وربما يرجع هذا التشاؤم الى سواده ، والسواد رمز للحزن أو ربما يرجع الى عقائد قديمة كانت شائعة عند القدماء بشأن سواد القط .

ولا يزال الايطاليون والهنغاريون يعتقدون بأن القطة التى تنب فوق سطوح المنازل لا بد أن تكون قد تقمصتها روح ساحرة شريرة . والبراهمة على العموم يعتقدون بحلول أرواح البشر فى القطط . وذلك أيضاً هو اعتقاد أهل السيام الذين يقدمون للقطط على سبيل الهدية أقفاصاً من ذهب يضعونها فى المعابد ، وقد شوهدت قطة سوداء فى موكب الاحتفال بتتويج ملك سيام فى سنة ١٩٢٦ .

وكثيرا ما كانت القطة فى القرون الوسطى سببا فى قتل صاحبتها من العجائز لاتهامها بالسحر وكانت القطة تعتبر دليلا على ممارسة العجوز لهذا « الفن الأسود » فى الخفاء لمساعدة الارواح العديدة التى تسكن جسم القطة .

ومن الخرافات المصرية التى شاعت فى العالم أن للقطط سبع أرواح أو تسعا . وقد يعزى الى هذه الخرافة بعض القسوة فى معاملة القط ، ولكن أصلها يرجع الى حرمة القط بل الى تقديسه ، فقد كان قدماء المصريين يقدسون هذا الحيوان ويحنطون جسمه ويشيدون له المقابر ، وكانت « بشط » ربة مصرية لها رأس قطة ، وكان المصريون يعتقدون أن لها تسع أرواح .

وذكر المؤرخ اليونانى « هرا بلون » ان الاغريق كانوا يصنعون تماثيل القطط بمعبد الشمس بمدينة هليوبوليس ، لان عين هذا الحيوان تتبع الشمس فى انتقالها فى الأفق وقد عثر المنقبون فى سنة ١٨٩٠ على مقبرة كبيرة بجهة بنى حسن موجود فيها جثث القطط

المحنطة موضوعة فى صفوف منظمة ، ولسوء الحظ أن الفلاحين تشاءموا من وجودها فأحرقوها .

وبدأ الناس فى فجر المسيحية يمقتون آلهة الاقدمين فاعتبروا القطة رمزاً للشيطان ومجلبة للشر .

قتل الثعبان

من اغرب العادات عند بعض سكان مصر انه لا يرضى بقتل ثعبان البيت ويتشاءم من هذه الفعلة اذا حدثت ، وقد كان الثعبان مؤلها عند اسلافنا . فالحرمة التى يحوطه به بعضنا الآن هى فى الحقيقة حرمة دينية نسينا اصلها وغايتها وبقى رسمها .

نعل الفرس

يتفاءل الناس بنعل الفرس ويعلقونها على الحوانيت وابواب المنازل لتجلب السعد لساكنيها . ومن وجد نعلا فى الطريق عد ذلك حظا حسنا يستأنس به طول يومه بل طول عامه .

واصل هذا الاعتقاد ، أن نعل الفرس كانت فى الزمن القديم رمز الربة «عشتروت» فكان كل من يجد نعلا يتفاءل بها كأن الربة قد اهدتها اليه ، وربما يرجع أيضا الى أنها تشبه الهلال

ونعل الفرس حديثة العهد فى التاريخ لأنه لا يمكن ان يعدو تاريخ الحديد المصنوع منه . والحديد لم يعرف الا منذ ثلاثة آلاف سنة . ولذلك قد يتوهم الانسان ان الاعتقاد فى حسن الحظ من النعال هو من مبتكرات المتمدنين الذين عرفوا الحديد ، وأن المتوحشين لا علاقة لهم بهذا الاعتقاد ، ولكن الحقيقة ان هذه الخرافة آتية من المتوحشين نزلت منهم الى المتمدنين . فنعل الفرس تشبه الهلال الجديد . والمرجح أن الانسان كان يصنع هلالا من خشب او عظم للتيمن ، فلما ظهر الحديد صار يصنعه من الحديد . ثم لما عرف نعال الخيل استغنى بها الانسان عن الأهلة القديمة وصار يعلقها على الابواب والحوانيت بدلا منها ، للشابهة ، وبدلا من أن يرسم الهلال . والاوربيون يتفاءلون بهامثلنا ويتعلقون بهذه العادة اكثر منا .

يتبع

ابراهيم تادرس بشاى

المعتصم بن صمادح

على فراش الموت

للدكتور عبد الوهاب عزام

الاندلس فى أمر مريج ، زال عنها سلطان الخلافة فاضطربت ، وفقدت رواسيها من بنى أمية فمادت . وأصبحت كرقعة الشطرنج يتغالب الملوك على كل بيت فيها . كل قوى يجوز ما وسع حوله وهمته ، والعيش غلاب . «والبر أوسع والدنيا لمن غلبا»

فى هذا المعترك ملك محمد بن أحمد بن صمادح التجيبى (مدينة (وشقة) وملك بنو عمه مدينة (سرقسطة) . ثم غلبوه على مدينته

ثم ملك ابنه معن بن محمد مدينة (المرية) غصبها من عبد العزيز ابن أبى عامر . وخلفه ابنه أبو يحيى المعتصم بالله وهو فى سن الرابعة عشرة . نشأ فى ملك ضيق الرقعة ، فاستعاض منه سعة الخلق وبعد الهمة ، وحلية العلم والادب ، والسخاء الشامل ، والجود العمم ، حتى طاول المعتمد بن عباد كبير ملوك الطوائف ونافسه ، وحتى قال أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حينما لقيهما بالاندلس . « هذان رجلا هذه الجزيرة » .

قال ابن خلكان :

« وكان رحب الفناء ، جزيل العطاء ، حليما عن الدهماء ، طافت به الآمال ، واتسع فى مدحه المقال ، وأعملت الى حضرته الرحال ، ولزمه جماعة من فحول الشعراء »

وقال الفتح بن خاقان:

« ملك أقام سوق المعارف على ساقها ، وأبدع فى انتظام مجالسها واتساقها ، وأوضح رسمها ، وأثبت فى جبين أيامه وسمها . لم تخل أيامه من مناظرة ، ولا عمرت الا بمذاكرة أو محاضرة ... وكانت دولته مشرعا للكرم ، ومطلعا للهمم ، فلاحت بها شموس ، وارتاحت فيها نفوس . ونفقت فيها أقلام الاعلام ، وتدفقت بحار الكلام ، كاجادة ابن عمار وإبداعه ، فى قوله معتذراً من وداعه .

أمعتصما بالله والحرب ترتمى بابطالها والخيل بالخيل تلتقى

دعتنى المطايا للرحيل واتى لأفرق من ذكر النوى والتفرق
وإنى إذا غربت عنك فانما جبينك شمس والمرية مشرق.

وكان المعتصم ، كالمعتمد بن عباد ، شاعراً مجيداً : كتب الى الوزير الشاعر بن عمار :

ورهدنى فى الناس معرفتى بهم وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خـــلا تسرنى مباديه إلا ساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة من الدهر إلا كان إحدى المصائب

طوى الامير أربعين عاما فى امارته ، شاع فيها ذكره ونبه اسمه ، وحلب الدهر أشطره ، ورأى أحداثه وعبره . ثم حم القضاء وبعث ابن تاشفين جنوده على ملوك الطوائف تثل عروشهم ، وتعفى على آثارهم . ولقى « رجلا الجزيرة » الصدمات الاولى فدارت على المعتمد الدائرات ، فاذا هو أسير أغمات ، وللمعتمد بن عباد قصة ملؤها العبرات والزفرات .

وعلم ابن حماد بما أصاب صاحبه فملكه الغم ، وناء به الحزن ، وكان أسعد من صاحبه جدا ، نجاه الموت من الاسار ، وأنقذه الحمام من المذلة : رب عيش أخف منه الحمام . ولله ابن بسام حين يقول : « وكان بين المعتصم وبين الله سريرة أسلفت له عند الحمام يدا مشكورة . فمات وليس بينه وبين حلول الفاقرة به الا أيام يسيرة ، فى سلطانه وبلده ، وبين أهله وولده »

دع مـا نمق الكتاب ، وأنشد الشعراء ، ودع أربعين طواها الزمان كأنها أحلام ، وانظر المعتصم ليلة الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة — الليلة التى طلع عليه بالردى فجرها — هاهو ذا على فراش الموت فى قصره بالمرية ، ومعسكر ابن تاشفين على مقربة من المدينة ترى خيامه ، وتسمع ضوضاءه . ويسمع المعتصم وجبة من الجيش اللجب ، والجند المصطخب ، فيقول كأن لم ينعم بالملك والجاه أربعين عاما !

لا إله الا الله ! نغص علينا كل شىء حتى الموت ، قالت « أروى » أحدى جواريه :

« قد دمعت عينى ، فلا أنسى طرفا الى يرفعه ، وانشاده لى بصوت لا أكاد أسمعه ،

« ترفق بدمعـــك لا تفنه فبين يديك بكاء طويل »

عبد الوهاب عزام

الحرص على الحيـــاة

للعلامة الأمير مصطفى الشهابى

عضو المجمع العلمى العربى بدمشق

لكم تساءل الانسان عن هذه الحياة ومعناها ، ومبدأها ومنتهاها ، ولكم أجهد نفسه بلا جدوى للحصول على جواب مقنع تسكن اليه نفســه الكليمة من أحاجى هذا الكون . وهو بين الأزل والأبد يمر فى هذه الحياة الدنيا كأسرع من إيماضة كهربائية تطوى الارض فى أقل من ثانية ! .

ماهى هذه الحياة الكامنة فى جنين بزور النبات ، وكيف تحتفظ بعض البزور المجففة بخاصة « الاتتاش » عشرات من السنين ، حتى اذا زرعت وابتلت دبت فيها الحياة فضربت « تنشها » فى الارض وأبرزت ســـداها فوق التراب يتلس الشمس والهواء . وهو أحرص على الحياة من الشيخ الفانى والهرم البالى . وراقب جذور هذه النبتة كيف تخترق ذرات التراب وتتغلغل فيها سعياً وراء الماء اللاصق بها حيث تجد غذاءها مذابا صالحا للامتصاص . والغريب أنك كيفما أدرت ذلك الماء دارت الجذور معه وسعت اليه كأنها تدرك أن لا حياة لها إلا به . واذا ما وضعت حاجزا معدنيا بينها وبين ذرات التراب المبتلة دارت حوله حتى تتخطاه ، وان أعياها الأمر أفرزت حوامض تذيبه ، حتى اذا ثقبته دخلت فى الثقب كما يفعل الكماة عندما يخرقون سور المدينة الحصينة ، ويدخلون من الخرق فيستولون عليها وينعمون بها .

وانظر الى الازهار الموضوعة فى نافذة غرفتك كيف تميل الى الخارج تستقبل الضياء حتى لكأنها تفر من الظلام الى النور . والحظ الاشجار المغروسة بجانب أحد الجدران كيف تبتعد عنه باغصانها النوامى فتبدو عريانة فيما يليه كان قضبانها اللدنة لا تلتذ برغد العيش الاحيث يتماوج النور ويتلاعب الهواء . وهذه زهرة تدور مع الشمس من مبزغها الى مغربها حتى سموها عبادة الشمس . وتلك ورقة مركبة تفتح وريقاتها فى النهار وتضمها فى الليل مرتقبة شروق الشمس فى اليوم التالى وهى أحرص ما تكون على الانتفاع من شعاعها المنير . واعجب لتلك النبتـــة الحساسة التى يسمونها « مستحية » ، وخجولة اذ تنطبق أوراقها عند ما يمسها الانسان ، وتنكمش اغصانها وتتدانى كأنها تشعر بالخطر المحـــدق

بها فتبتعدعنه ، وكأنها تستعدلمغالبة ذاك الذى جاء ينتزع منها الحياة . وأغرب منها قواتل الحشرات التى تنطبق أزهارها على الذباب فتميته وتعصره وتغتذى بعصارته بعد أن تحتال عليه بشتى الحيل لئلا يفلت منها فيفوتها رزقها وتفوتها الحياة .

أماالحشرات فلها أفانين واعاجيب فى التشبث بالحياة والتعلق بها ولا سيما بواسطة أنسالها . والذى يتاح له أن يرى مثلى بعض أنواعها ويتابع سير حياتها بالمجهر أو بالعين أو بالعدسات يذهل من أساليب التلاقح والتسافد بين الذكر والأنثى ومن ضروب الحيل والقسوة التى ربما أدت بأحدهما الى الهلاك فى سبيل حفظ النسل وضمانة بقاء النوع حيا . وما من أحد الا وله معرفة بخلية النحل ويعسو بها ، وقرية النمل وأنابيرها ، وخيوط العناكب ومصايدها ، دع الحيوانات العليا وما تفتقه قرائحها من ضروب الحيل إما فى اتقاء عدو أو تلمس قوت أو إخلاف نسل . والنتيجة فى كل ذلك واحدة وهى بقاء النوع ببقاء الحياة فيه .

لكن ابن آدم الذى سمت مداركه ، كيف تلذله الحياة على ما فيها من شرور وآثام وآلام مبرحة ، ولماذا ترتعد فرائصه من الموت ، ويقف شعره لشدة فزعه منه ؛ وما هذه الشهوة الشديدة التى تدفعه الى الانسال ، وتلك العاطفة الغريزية التى تجشمه أشد المتاعب وأضناها فى تربية الابناء وإعدادهم للحياة . تمر كل هذه الأسئلة فى خاطر الانسان فلا يحير لها جوابا لأنه لا يفقه شيئا عن ماهية الحياة ولا عن الغاية منها . وإذا باصحاب مذهب العدم أى العدميين ينتصبون قائلين : أما والحياة ليست سوى مجموعة من الآلام التى لاحد لها ولانهاية ، فما علينا الآن نقضى عليها بقتل كل حى على هذه الكرة الارضية الحقاء . فيضحك العالم من هذا الرأى ويجيب : هبوا الناس قبلوا رأيكم هذا وعملوا به ، فاذا يحصل بعد ان تفقد الحياة على هذه الكرة ؟ هل تظل الأرض خالية من الأحياء ، تدور دون ان يدرك احد دورانها ، ويتعاقب الليل والنهار دون ان يحس احد تعاقبهما ؟ هذا مالا يقبله العقل السليم .

والراجح ان العلة التى اوجدت الحياة ستعيدها سيرتها الأولى مهما تعددت آراء اصحاب الاديان والمذاهب والفلسفات المختلفة والعقائد المتناقضة والعلوم الحياتية المحدودة فى تفسير هذه العلة وفى تحديد ماهيتها . وعندئذ تعود الحياة الى ما كانت عليه ، ويعود الأحياء الى التكاثر والتنوع والتناحر والتفانى وتكون نتيجة العمل برأى العدميين وقف الحياة بضعة ملايين من السنين ، وهى بعد لاتعد شيئا مذكورا فى هذه الدهور الأبدية ، والكائنات السرمدية .

مسكين أنت أيها الانسان ! ما أشقاك بهذه الحياة ! عقل قاصر وجد عاثر ، وإدراك بسيط ، وحواس محدودة . تأتى الى هذه الحياة وأنفك راغم ، فتعيش بأوهامك وأخيلتك الشعرية التى لاظل للحقيقة فيها ، ثم تجالد وتكافح وتتألم وتشقى وتتوهم السعادة أحياناً ، لكنك سرعان ما تهلك مقهوراً مدحوراً ، فلئن كانت لك أمنية فى حياتك هذه فأجلها أن يسمو العقل البشرى حتى يصير قادراً على اكتناه أحاجى هذا الكون الغامضة .

من طرائف الشعر

شوقية لم تنشر

نظمها شاعر الخلود شوقى بك

فى الطلاب المصريين الذين يتعلمون فى أوربا

قف حيّ شبان الحمى قبل الرحيل بقافيه
عوّدتهم أمثالها فى الصالحات الباقيه
من كل ذات اشارة ليست عليهم خافيه
قل يا شباب نصيحةً مما يزوّد غاليه
هل راعكم أن المدا رس فى الكنانة خاويه
هجرت فكل خليّة من كل شهد خاليه
وتعطلت هالاتها منكم وكانت حاليه
غدت السياسة وهى آ مرة عليها ناهيه
فهجرتمو الوطن العز يزإل البلاد القاصيه

أنتم غـــداً فى عالم هو والحضارة ناحيه
واريت فيـــه شبيبتى وقضيت فيه ثمـــانيه
ما كنت ذا القلب الغلي ظولا الطباع الجافيه
سيروا به تتعلّموا سرّ الحياة العاليـــه
وتأملوا البنيان وادّ كروا الجهود البـــانيه
ذوقوا الثمـــار جنية وردوا المناهل صافيـــه
واقضوا الشباب فان سا عته القصـــيرة فانيه
واقه لاحرج علي كم فى حـــديث الغانيه
أو فى اشتهاء السحر من لحظ العيون الساجيـــه
أو فى المسارح فهى بالـ نفس اللطيفة راقيـــه

المحزون !!

لشاعر سورية الأستاذ خليل مردم بك

أعن اللهم من صوّ رته من حزَن

ألف الحزنَ فلو فا رقه الحزنُ بكاه
وجفا اللهو فلو وا صله اللهو شكاه
نفسه ليس لها غي ر الأسى من سكن

الأسى فى مقلتيه قد محا كل ضياء
جاعل فى مسمعيه كل صوت كالبكاء
إن نا يصر أو يسـ مع داعى الشجن

درج الطفل اليـــه ضاحكا مستبشرا
ناشراً كلتا يديه كالمصـــلى كبرا
أو كطير همّ بالاـ قاف عن غُصن

ضمه المحزون لا يم لك رد العبرات
ذاكراً يوماً وإن طا ل التراخى فهو آت

تصدع الشمل به جو رأ صروف الزمن

لو تراه والتى ها م بها عند التلاقى
خلته يلفظ روحاً بلغت منه التراقى
مغمض الجفنين للغصـ ة لا للوسن

قال: لا آسى إذا لا قيت يوماً مصرعى
انما أخشى على حبي أن يودى معى
فاحفظ اللهم هذا الـ حب واحرس وصُن

واذا قبـــلى ماتت ما عساتى أصنع
هل يؤدى حق حزنى ان تفيض الأدمع
لا وربى دون أن نم سى معاً فى كفن

ورأى الظالم لا يرـ قب فى المظلوم ذمه
فبكى حزناً لمن عُرّ ى من عدل ورحمه
وعلى من بشديد الـ جور والظـــلم منّى

قال: ياذا المال مافى الـ مال لى من مطمع
اى شيء هو اغلى من لآلى الادمع
هل رأت عيناك درّاً غيرها فى الاعين ؟

فانا املك منها ثروة لا تنفـــد
وانا ، إلا بها فى كل مال ازهـــد
وحدها كم كشفت عنى ظـــلال المحن

لا ترد منى شعراً ولو ان الشعر سحر
كلما انشدت شطراً فاض من روحى شطر
يا لروح بين أبيا ت له مرتهن

نبذ الاديان يعتد بهـا كل غبي
وجفا الاسلام لو لم يك دين العرب

فهمو لو عبدوا الأو ثان أمسى وثنى

ما احب العرب الا منذ لاقوا المحنا
فهم قد زرعوا لكن سواهم قد جنى
كم لقوا سوءا بصنع قدموه حسن

ضاق بالاحزان ذرعاً فانتحى الروض النضير
يتغنى بنشيد مثل اسجاع الطيور
نفسه قد نشزت مع ه ولما تئن

وهزار مع ورقا عليه عكفا
قال للورقاء مابا لك اخى البلوى غفا؟
قالت الورقاء بل ير حمه الله فنى!

السكك الحديدية تحت الارض

للاستاذ فخرى ابو السعود

خلصت من زحمة الدنيا وضجتها
إلى طرائق تحت الارض تنسرب
جرت مفاوزها فى كل ناحية
فلم تزل تتلافى ثم تنشعب
ظلماء جونٌ كأحجار الأراقم قد
مدوا لها سببا فى إثره سبب
تجرى بها مركباتٌ ما يزال لها
تحت الثرى والدياجى مسلك عجبُ
ترى بها دافع للكهرباء فلم
تقذف دخانا ولم يزفر بها لهب
شتيمة الوجه إذ تنسلُّ سارية
مثل الثعابين فى أنيابها العطبُ
ترى على سفر طول المدى فاذا
حواتها صفروا سالت بها القضب
إن يبتغوا انطلقت أو يبتغوا وقفت
لم تشكُ أيناً ولم يعلق بها لغبُ
تظل ذاهبة منهم وآيبة
تمضى مولولةً صخبى وتنقلبُ
يرمى بها نفقٌ داج إلى نفق
وينطوى سَربٌ من بعده سرب
كأنما هى سعلاة بها كلبٌ
أو أنها طالب قد شفه الطلبُ
تجرى النهار وماتدرى له وضحاً
ودَاجى الليل لاتبدُو له شهب
تظل تقطع أنحاء المدينة لم
يشعر على الارض من جاءوا ومن ذهبوا
وتنثنى فى الدياجى غير حافلة
بمن مشوا فى ضياء الشمس أو ركبوا
فكلُّ نهجٍ لها أنى مضت جَدَدٌ
وكلُّ قاصٍ إذا رامتْه مقترب

الى شباب العيد

للاستاذ محمود الخفيف

جددوا العزم فالزمان أهابا وخذوا الحذر واستحثوا الركابا
ألبسوا العيد روقة وجلالا قد ظمأنا اليهما أحقابا
واملأوا مهرجانكم كبرياء وطموحا وعزة وغلابا
وانشدوا المجد بكرة وأصيلا واذكروا مصر جيئة وذهابا
وابعثوا فى البلاد صوتا قويا فستلقون صوتكم مستجابا
وافيضوا من الحماس علينا فسينصب فى القلوب انصبابا
وانظموا العزم والوفاء كتابا وانشروا فى الجموع ذاك الكتابا

واتركوا الكيد والخصام لقوم ... لا يرون الجهاد الا سبابا
أيها المنكر الحياة علينا ... أقصر اللوم هل رأيت الشبابا؟
انظر اليوم كيف قاموا بأمر ... يملأ الشرق كله اعجابا!
رأوا النيل راسفا فى قيود ... صاغها الجور تستذل الرقابا
هذه الأرض أصبحت نهب قوم ... أخذوا الشرق عنوة وانتهابا
يشرب الرئق أهلها فى هوان ... ويبيتون فى حماها سغابا
يمرح الطامعون فيها اختيالا ... ويقاسى الاحرار فيها اغترابا
فأبت نخوة الشباب عليهم ... أن يناموا ومصر تلقى العذابا
فسعوا للكفاح سعيا حثيثا ... أرأيت الشبول هبت غضابا؟
نضر الله وجه مصر بقوم ... مسحوا عن جبين مصر الترابا
أجمعوا أمرهم وساروا جميعا ... يتخطون بالثبات الصعابا
لهم المجد تالدا وطريفا ... والمعالى وراثة واكتسابا
كل يوم لهم بمصر نداء ... ولهم عزمة تذيب الصلابا
اسألوا مصر عنهم يوم قاموا ... لا يخافون بطشة أو عقابا
يرفعون اللواء صفا ويمشو ... ن سهاما الى الردى أسرابا
زمر تبذل النفوس وتحدو ... ضاحكات لدى المنون طرابا!
كتبوا صفحة الفداء لمصر ... بدم كان كالعباب انسيابا
يا شبول العرين فى مصر هيا ... أبعدوا عن ربوع مصر الذئابا
لست أدعوكم لكيد ولكن ... أبتغى الرشد عندكم والصوابا
نافسوا الطامعين بالجد وامضوا ... قد كفانا تضايحا واعتصابا
لا تقولوا ضيوفنا بعد هذا ... أسمعتم عواءهم والسبابا؟
نحن أولى اذا أردتم ملاما ... فاصرفوا اللوم عنهمو والعتابا
وأهيبوا بقومكم أن أفيقوا ... ان للمخلصين منكم ثوابا
قد سئمنا ترددا ونكولا ... وخنوعا وغفلة وارتيابا
سبل العيش مهدوها وسيروا ... فى حمى النيل جحفلا غلابا
أنتم اليوم للبلاد عتاد ... وغدا سوف تدركون الطلابا

الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية

— السلم الموسيقى. —

— ٢ —

هل توجد حقا فروق بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية؟ يقول الموسيقيون الغربيون بوجود هذه الفروق ظاهرة واضحة لاسبيل الى إنكارها أو الشك فيها، ويؤمن الموسيقيون الشرقيون بهذا الرأى، ويذهبون الى أبعد حدود الفكر، ثم تقوم القائمة بين مفكريهم، فى هل تظل هذه الفروق على ماهى عليه أبدا، أم تقرب بينهما لفائدة الموسيقى الشرقية ونهضتها. ولكل رأى أنصاره ولكل رأى الداعون إليه بقوة وإيمان.

أما من أين نشأ هذا الخلاف، وهل كان منذ أن عرف العالم شيئا اسمه موسيقى، أم أنها كانت واحدة فى بدئها ثم انقسمت إلى فرق وشيع باختلاف أذواق من اشتغلوا بها والمؤثرات التى أحاطت بهم. للجواب على هذا السؤال يلزمنا أن نمهد له بذكر شىء يسير من تاريخ الموسيقى ونشأتها وتطورها والنواحى التى اتجهت اليها.

يقول التاريخ إن أقدم حضارة عرفها العالم هى فى الأمة المصرية القديمة، وإن أقدم موسيقى عرفها التاريخ هى موسيقى قدماء المصريين. لايخالفنا فى ذلك مخالف، غير أن بعض من بحثوا فى تاريخ الموسيقى من الغربيين يميلون الى نسبة الموسيقى القديمة إلى فلاسفة الاغريق، وأنهم أول من وضعوا قواعدها وأصولها، ولعل فى ذلك روحا من تعصبهم فى البحث وعدم إيرادهم الحقيقة فى كثير منها مادام الفضل سيعود من وراثها إلى الشرق وأهله. أم لعل ذلك راجع إلى أن أقدم ماعثروا عليه من كتب الموسيقى، هو لفلاسفة اليونان القدماء.

ومما لاشك فيه أن الموسيقى كانت تدرس عند قدماء المصريين وكانت لها قواعدها وآدابها، فى الحروب كانت تذكى نيران الاقدام والبسالة، وفى المعابد كانت تبعث الخشوع والايمان، وفى قصور الملوك وفى دور البلاء كان للموسيقى المكان الأسمى.

ذلك ماتدلنا عليه آثارهم المحفورة فى المعابد والمقابر والقبور. وأقدم الآلات التى عرفها التاريخ هى الناى والمزمار واللير وهى من صنع قدماء المصريين. ويقول هيرودتس المؤرخ القديم: إن

من أعظم الاحتفالات المصرية ، الاحتفال بعيد الاله أزوريس ، فكان الكهان يحملون تماثيل الاله من الذهب الخالص ، وفريق منهم ينشد الأغانى الدينية وفريق منهم يعزف على الناى .

واخذ بنو اسرائيل الموسيقى عن المصريين ، ونبغ منهم افراد ، وفى اقاصيصهم عن سحر مزمار داود وائره فى الطير والحيوان الكثير. وعند خروجهم من مصر نشروا فى مختلف البطاح والوديان ماعرفوه من العلوم الموسيقية ، ولعل اقدم نشيد عرفه التاريخ هو نشيد ميريام الذى أنشد عند عبورهم البحر الاحمر .

وأخذ الاغريق الموسيقى واصولها عن المصريين والعبرانيين ، وتدرجت الموسيقى فى الغرب من المعابد الى قصور الخاصة ثم الى المحافل العامة وتطورت بتطور المجتمع الغربى وتأثرت بما تأثر به من مختلف التأثيرات . وانتشرت فى الشرق من بلاد الفرس الى العرب الى مايجاورها من بلاد الشرق وتأثرت بما تأثر به المجتمع الشرقى من عادات وأخلاق وطبائع ، وعرفنا نحن من هذا أن اصل الموسيقى فى العالم واحد وانها كانت فى بدايتها ولا اختلاف فيها ولا تقاسيم . ولنتكلم الآن عن اول تقسيم للسلم الموسيقى عرف فى التاريخ وهو المسمى سلم فيثا غورس وتقسيمه كما يلى من اليسار الى اليمين

دو	مى	لا	صول	فا	مى	ري	دو
ليما	مسافة كبيرة	مسافة كبيرة	مسافة كبيرة	مسافة كبيرة	ليما	مسافة كبيرة	مسافة كبيرة

أى أنه مقسم الى مسافتين صوتيتين كاملتين ثم نصف مسافة صوتية ناقصة (ليما) ثم ثلاث مسافات صوتيات كاملات ثم ليما . وهذا السلم يكاد يقابل سلما شرقيا لنغمة « عجم عشيران » من حيث نسب المسافات الموجودة بين مقاماته وترتيبها كما يلى من اليسار الى اليمين تصاعديا :

عجم .... حسينى ... نواه .... جهاركاه ... كردى ... دوكاه ... راست .... عجم عشيران وهذا ما يطلق عليه بالاصطلاح العربى الحديث اسم السلم الكبير Gamme Majeur . وأول سلم شرقى عرف هو السلم الفارسى العام وترتيب درجاته كما يلى :

هفتكاه ... ششكاه ... پنجكاه ... جهاركاه ... سيكاه ... دوكاه ... يكاه

ولما استعملت الاصطلاحات الموسيقية الفارسية فى المجتمعات العربية حصل بعض تعديل فى أسماء المقامات فتغير اسم هفتكاه الى اوج واسم ششكاه الى حسينى وپنجكاه الى نواه ويكاه الى رصد واستعمل اسم مقام يكاه للمقام الاول فى ترتيب أوتار العود وهى نغمة قرار النواه .

المسافات الصوتية العامة .

١- المسافة الصوتية العامة Ton Majeur وقيمتها $\frac{٨}{٩}$

٢- « « الناقصة Mineur « « $\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$

٣- نصف المسافة الكاملة Majenr «Demi « $\frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧}$

٤- « « الناقصة Mineur « « $\frac{٢٤٣}{٢٥٦}$

٥- الفرق بين المسافة الناقصة والمسافة الكاملة وتسمى كوما « $\frac{٥٢٤٢٨٨}{٥٣١٤٤١}$

ولتفهم معنى تلك القيم الكسرية للمسافات ، نفرض أن هناك نغمتين متتاليتين الأولى ا والثانية ب ، وأردنا أن نعرف قيمة المسافة الصوتية الموجودة بينهما . لذلك نضبط وتر الصونومتر (جهاز يستعمله علماء الطبيعة لقياس الاصوات بواسطة الأوتار) حتى يصدر النغمة ا فيكون طوله عبارة عن مقام الكسر ، ثم نحرك ضابط الصونومتر المتحرك على الوتر حتى يصدر النغمة ب فيكون طوله حينئذ عبارة عن بسط الكسر ويصبح عندنا كسرا حسابيا يدلنا على قيمة المسافة الصوتية بين نغمتى ا ، ب (وهذا باعتبار أن نغمة ا أوطأ من نغمة ب .

تلك المسافات هى المقاييس الصوتية العامة سواء كانت للموسيقى الشرقية أم الغربية ، ولكن الموسيقيين الغربيين لا يتبعون الآن فى تقسيم سلمهم إلا المسافة الكاملة ونصف المسافة المقرب وهو يساوى عدديا $\frac{١٥}{١٦}$ ويطلقون عليه اسم السلم المقرب Gamme tempéré وترتيب مسافاته كما يلى

$$\frac{٨}{٩} \cdot \frac{٨}{٩} \cdot \frac{١٥}{١٦} \cdot \frac{٨}{٩} \cdot \frac{٨}{٩} \cdot \frac{٨}{٩} \cdot \frac{١٥}{١٦}$$

بينما يتبع السلم الموسيقى الشرقى الدقه فى مسافاته وتقسيمه العام هكذا

$$\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦} \times \frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧} \times \frac{٨}{٩} \times$$

$$\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦} \times \frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧} \times \frac{٨}{٩} \times \times$$

$$\times \frac{٨}{٩} \times \times$$

ومن هنا نشأ خلافان أساسيان أولهما أن السلم الغربى لا يستعمل المسافة الناقصة ، وثانيهما أن نصف المسافة الثانية فى السلم الغربى يقع آخر مسافة ، بينما فى السلم الشرقى يوجد نصف المسافة الثانية بين المقامين السادس والسابع .

تقسيم المسافات الصوتية فى السلم الغربى الحديث

قسم الموسيقيون الغربيون المسافه الصوتيه الى قسمين متساويين فالمسافة مثلا بين دو ؟ رى يقع فى منتصفها تماما نصف مقام يسمى عند نسبته تصاعديا دو ديز وعند نسبته تنازليا رى بمول وفى التقسيم العلمى الصحيح نجد أن علامة ديز تكون لرفع المقام الذى تنسب اليه خمس كومات كاملة ، وعلامة بمول لخفضه خمس كومات كاملة ، ولما كانت المسافة الكاملة مقسمة الى تسع كومات وهو التقسيم الذى يقر به فيثاغورس ، إذاً أصبح موقع دو ديز غير موقع رى بمول ، أى أننا عندما نريد تقسيم المسافة بين دو ؟ رى بحساب علامتى الديز والبمول ، يلزمنا تقسيمها الى ثلاثة أقسام كما يلى :

رى .... دو ديز .. رى بمول .... دو

غير أن علماء الصوت والموسيقى يحتجون بأن الأذن لا يمكنها التمييز بين نغمتين الفرق بينهما كومة واحدة ، ولذا استغنوا عن ذلك التقسيم الصحيح الدقيق واعتبروه نظريا بحتا ، وأصبح لا يوجد فرق بين دو ديز ورى بمول وأصبح موقعهما واحدا كما فى البيان . وان كان هناك بعض الموسيقيين اللملاسيك ممن لا يخضعون لهذا التقسيم ولا يستعملون الآلات ذات الدرجات الثابتة .

تقسيم المسافات الصوتية فى السلم الشرقى

ظل الموسيقيون الشرقيون القدماء يستعملون التقاسيم الدقيقة فى سلمهم الموسيقى ، وما زالت المسافات الصوتية فى السلم الشرقى هى الخمس المسافات التى بيناها وهى المسافة الكاملة والمسافة الناقصة ونصف المسافة الكاملة ونصف المسافة الناقصة ثم الكومة ، وسنبين الآن كيفية التقسيم ليتضح لنا عظم الفرق بين التقسيم الشرقى ودقته ، والتقسيم الغربى وبساطته .

١ — المسافة الصوتية الكاملة $\frac{٨}{٩}$

تقسم الى أربعة أقسام ، فمثلا بين الرصد والدوكاه توجد النيم زيركولاه ، وبعدها عن مقام الرصد عبارة عن نصف مسافه ناقصة ثم تليها الزيركولاه وتبعد عن الرصد نصف مسافة كاملة ، ثم التيك زيركولاه وبينها وبين الرصد مسافة ناقصة ثم الدوكاه وبعدها عن الرصد مسافة كاملة .

دوكاه .. تيك زيركوله .. زيركوله ... نيم زيركوله . . . رصد

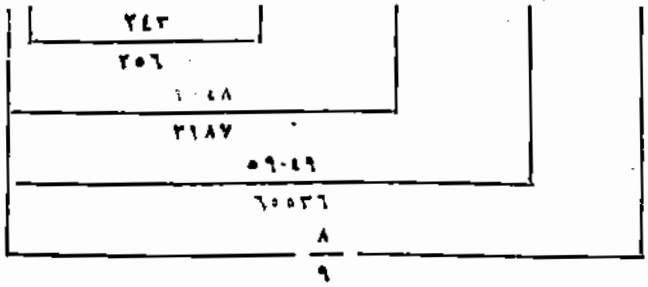

٢ — المسافة الصوتيه الناقصة $\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$

تقسم الى ثلاثة اقسام فمثلا من الدوكاه الى السيكاه يوجد الكردى وبعده عن الدكاه نصف مسافه صوتيه ناقصه ثم التيك كردى وبعد عن الدوكاه نصف مسافه كامله ، ثم السيكاه

سيكاه .... تيك كردى .... كردى .... دوكاه

٣ — نصف المسافه الكامله $\frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧}$

تقسم الى ثلاثة اقسام ، فمثلا من السيكاه الى الجهاركاه ، يوجد البوسلك وبعده عن السيكاه كومه واحده ثم التيك بوسلك وبعده عن السيكاه نصف مسافه ناقصه ، الجهاركاه وبعده عن السيكاه نصف مسافه كامله

جهاركاه ... تيك بوسلك ... بوسلك ... سيكاه

وعلى ذلك يكون ترتيب الرباعى الأول والثانى اللذان يكونان السلم الشرقى هكذا

رصد $\frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧}$ عراق $\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$ عشيران $\frac{٨}{٩}$ يكا

الرباعى الاول tetracord

جهاركاه $\frac{٢٠٤٨}{٢١٨٧}$ سيكاه $\frac{٥٩٠٤٩}{٦٥٥٣٦}$ دوكاه $\frac{٨}{٩}$ رصد

الرباعى الثانى

العلوم

العنصرية

للدكتور احمد زكى

قامت النازية الالمانية على مبادىء عدة ، منها السياسى ومنها الاقتصادى ومنها الادارى ، ولكن لعل أخطر من هؤلاء جميعاً وأكثر وروداً على ألسنة خطبائها ، وأسرع إذكاء لحمية مستمعيهم ، ذلك المبدأ الغالى الذى يعتمد على القومية الخالصة والدم الصريح ، فى استنهاض الشعب الجرمانى الى كل ما تقول به النازية وتدعو اليه من العقائد والأعمال .

لو أن النازية قصدت إلى تمجيد قومها ، وغالت فى ذلك ما شاءت وشاءت لها الدعاية ، لما شكا أحد مما تقول ، ولو أنها غالت حتى ألّهتهم ، لنظرت اليها الأمم بابتسامة عريضة يستتر وراءها اغتباط هادئ من تذوق فكاهة هائلة ، فى عالم يحسن أن تكثر فيه الملح والنكات . أما وقد أرادت أن تمجد قومها بتجريد غيرها من الأقوام ، وأن تزيد فى أولئك بانتقاص هؤلاء ، فقد أثارت حفائظ الأمم ، وأيقظت عزة الأجناس البشرية ، فاستقاموا فى جلستهم يستمعون لجدّ حسبوه مزاحا ، وتقطبت من جباههم أسارير للتفكير ، بعد أن كانت قد انبسطت وجوههم بالبشر ، و ذلك لما رأوا المهزلة تستحيل الى مأساة ، ووجدوا النازية تطرح على كتفيها روب الأستاذ العالم الانثروبولوجى ، ينظر فى أصول الأمم ، ويقدّر قيم الأصلاب ، ويضع الخلق فى منازل تعلوها جميعاً تلك النطف الجرمانية التى ادخرتها الآلهة على الأجيال ، لتنحدر الى الوجود فى القرن العشرين فتكون للناس سادة أمثالا ، وتكون هدى وبشرى للعالمين . وكل ذلك باسم العلم

لذلك تصدى للرد على هذه النظرية التى اتخذت صورة علمية ، رجال من رجالات العلم ، ولعل أكثر هؤلاء اعتدالا رجل متحدر هو نفسه من أصلاب جرمانية ، ذلك هو (ملكرام بيسل) الأستاذ بجامعة كاليفورنيا . قال :

قلّ من يخالف فى أن الجنس الجرمانى جنس عظيم ، وأما أنه أعظم جنس كان فى كل زمان ومكان ، وأن كل مدنية كانت وتكون ، اعتمدت وستعتمد على هذا الجنس ، فذلك ما لا تحتمله أكبر المخيّلات إسرافا ، ولا تتسع له أكثر الحلوم رخاوة وسماحة . ومثل هذه المغالاة ، لاسيما اذا استُعير لها لسان العلم ، ستظل دائماً نذيراً بأن الانسان لا تزال عواطفه سيدة عقله ، وهواه حاكم صوابه . يدخل الأمر نفوسنا ويستأذن فى لطيف على قلوبنا ، فيهد كل أهوائنا توافقه ،

ومن هذين الرباعيين يتكون السلم الموسيقى الشرقى العام مع اضافة مسافة صوتية كاملة بعد الجهاركاه ليختم السلم بجواب مقام اليكاه وهو النواه . ويصبح ترتيبه كاملا كما يلى

نواه $\frac{8}{9}$ جهاركاه $\frac{2048}{2187}$ سيكاه $\frac{59049}{65536}$ دوكاه $\frac{8}{9}$

رصد $\frac{2048}{2187}$ عراق $\frac{59049}{65536}$ عشيران $\frac{8}{9}$ يكاه

بقى بعد توضيح الفوارق بين تقسيم السلمين الشرقى والغربى ان نذكر شيئا عن الانغام والأوزان فى كلتى الموسيقيين ، وارجو أن يستجيب فرصة قريبة ان شاء الله على صفحات من الرسالة المجيدة

مدحت عاصم

وكل ميولنا تناصره ، فنألف هذا الأمر ، ثم نعتقده ، ثم من بعد ذلك تتطلب الحجج على أنه الحق . نعتقد صواب شيء ، نعتقد أن الجرمانيين سادة الأجناس لأننا نحن جرمانيون ، أو أن النصرانية أقوم الأديان لأننا نحن نصرانيون ، أو أن هذا الحزب أصدق الأحزاب لأننا له متحزبون ، ثم من بعد هذا ، ومن بعد هذا فقط ، ننظر في الأدلة لنصرة معتقدنا ، ونخرج في سهولة أو يسر تلك البراهين التي تعزز مذهبنا ، وتلك الأدلة لا شك آتية ، وتلك البراهين لا شك غير مستعصية ، وبذلك نحسب أن عملية التخريج تمت ، وأن العلاقة بين السبب والمسبَّب استبانت ، فيتأكد بذلك معتقدنا ويزيد به ايماننا . ونحن نتَّبع أسلوب هذا المنطق الطريف غير شاعرين ولا متيقظين اليه ، ويتبعه العلماء كما يتبعه السوقة بمثل تلك الغفلة ، فهو أسلوب مستتر خفيّ ، أخطر ما فيه تستره وخفاؤه

ليس في دعاوى النازيّة اليوم من جديد ، فهي تكملة للدعوى التي بدأت في القرن التاسع عشر ، وهي مثل من أمثلة عدة لم يسلم منها قرن من القرون ولا شعب من الشعوب . فالشعوب دائما تميل للسيطرة على الشعوب بدعوى تفوق الجنس ، وتستغلهم بحجة قوة الدماء وخلوصها ، وتبعث فيهم حثّا بحقارة أنفسهم للفقر وخلط في دمائهم ، ووخمة في أصولهم ، فهي إذن دعاوى للعيش وأسباب للغلبة . أكثر منها دعاوى في العلم وقضايا في المنطق.

ليس مذهب الجرمانية الا فرعا من مذهب الآرية ، وكان من أكبر دعاة هذا المذهب وشارحيه ، الكونت « جوزف دي جوبينو Josef Arthur de Gobineau » ، كان فرنسيا أرستقراطيا مات عام ١٨٨٢ ، ادعى جوبينو أن الآريين خلقوا ثم أمدّوا بالروح والنور كل ما هو جميل وعظيم في الحضارة . ونسي أن يثبت وجود هؤلاء الآريين كجنس واحد نقي خالص . أن فكرة الآرية نشأت من دراسة لغات بعض الامم الاوروبية وبعض الامم الاسيوية ، والاهتداء الى وجود أشباه بين تلك اللغات ، أدّى الى افتراض أنها جميعا مشتقة من لغة واحدة هي الآرية ، وذلك فرض علمي لا شبهة فيه. استنتج جوبينو وأشياعه من وجود لغة آرية وجود شعب آريّ قديم عزا اليه حضارات الازمان الخوالي ، وزعم أن هذا الجنس الآري هاجر الى شمال أوروبا فتحدرت منه الشعوب التيوتونية والانجلو سكسونية ، فهي لذلك سبب الحضارات الحالية والعلة في استمرار وجودها . وفات جوبينو أن وجود لغة واحدة ليس بدليل قاطع على وجود جنس واحد ، وان اتحاد اللغات في أمتين أو أمم ، ليس بحجة على اتحاد الاصلين او الاصول ، فقديما ما أعارت الامم اللغات واستعارت ، فوجود جنس آريّ كالذي تحسبه النازيّة اليوم ، لم يقم عليه أي دليل

والعنصر الجرماني نفسه مجهول الاصل ، وفوق هذا فلا يستطيع أحد ان يدعي له أرومة خالصة . انه عنصر شديد قوي ، ولا شك أن اختلاط دمه بدماء أوروبا الوسطى والجنوبية كان له أثر كبير فيما حدث هناك من التقدم والارتقاء ، ولكن ما يقال في العنصر الجرماني يقال في سائر العناصر ، فكثيرا ما أدى اختلاط عنصرين الى عنصر جديد أشد وأكثر حياة من أصليه .

على أن العلم الى اليوم لا يستطيع بثقة أن ينسب الى أية مجموعة بشرية ، خصالا خاصة عتيقة ثابتة فيها ، لأنه الى اليوم لا يدري كيف يقيس هذه الخصال برغم ما أسموه « مقاييس الذكاء » ، فتلك مقاييس ثبت مراراً وتكراراً أنها لا تقيس الذكاء وحده وانما تقيس معه آثاراً من البيئة والثقافة لا يمكن عزلها عنه . ومع هذا لا نفتأ نسمع الخرافة الجرمانية تلوكها الألسن ، وتتردد على الأسماع ، فمجد الاغريق كان بسبب غزو الجرمان ، وروما دام عزها ما بقي سلطانها بقاء دمها الجرماني خالصا صريحا ، فلما اختلط حاق بها ما حاق ، واسبانيا لم تستيقظ الى ما استيقظت اليه الا بسبب ما دخل عروقها من الدم التيوتوني ، « والنهضة » الاوروبية نفسها لم تكن الا ظاهرة جرمانية صرفة

يقولون ان الرومان والاغريقيين كانوا وهم في أوج عزهم جرمانيين صرحاء . ليس من السهل الحكم على ما كانت تتألف

منه أمم قديمة كالاغريق والرومان ، ولكن من الثابت انه فى العصور التى سبقت ، كانت حروب وكانت فتوح ، وكانت غلبة وكان انغلاب ، وكانت هجرة وكان تشتت ، فلم يرتبط قوم بأرض ، ولم ينعزل جنس بسبب ذلك عن جنس ، فلم يكن فى عصر الأغريق ولا فى عصر الرومان دم لم يختلط ، ولا عنصر لم يتلقح ، فكل مايقال عن خلاص الساينين Sabines (١) والاترسكانيين Etrucsans (٢) وحتى عن نقاء الرومان والاغريق ، لايمكن تدعيمه على ماهو معروف اليوم فى علم الاجناس . قالوا وشادوا بان الأسبرطيين جرمانيون خلصاء ومع ذلك أدخلهم « دكسن » Dixon فى عداد الألبيين Alpines . وقالوا وشادوا بأن الاترسكانيين جرمانيون خلصاء ومع ذلك قال عنهم هرتس Hertz مؤلف «الشعوب والمدنية» أنهم لم يكونوا من المجموعة الهندية الجرمانية ، وأن هذا ثابت ثبوت يقين

ان العنصر له أثر لا ينكر فى احداث المدنيات وتنشيء الشعوب ولكن هناك أمور أخرى لاتقل آثارها عن أثره ، ولا تنجم عن تأثيره ، وهى تلك التى ينكرها المتطرفون من دعاة العنصرية وغلاتها . ليس من العلم فى شيء أن ننسب عظمة الاسبان مثلا الى دخول الدم الجرمانى اليهم ، وسقوطهم الى دخول دماء اخرى غير جرمانية ، ثم نغفل العوامل التاريخية والجغرافية الكبرى التى كان لها أثر كبير فى تلك الرفعة وهذا الهبوط . واذا عزونا كل مدنية الى الدم الجرمانى وكل تقدم اليه ، فكيف نفسر تلك المدنية العربية التى ازدهرت يوما ما فى الاندلس وطالت ماحولها من المدنيات الاوروبية طولا كبيرا

ان إبطال الدعوى الجرمانيه بل تـخيفها عمل يسير هين . ولكن العمل الشاق الذى يتعب الأفهام ويجهد العقول ، انما هو تسبيب نشوء المدنيات ، وتسبيب انحطاطها أو زوالها . الناس تجنح دائما كما يجنح الالمان اليوم الى جعل العنصر العامل الوحيد فى ذلك ، الذى تتضاءل دونه العوامل ، والسبب الذى لاتستأهل سائر الأسباب الى جانبه ذكرا . خطأ كبير تغذيه العاطفة ، وسهولة فى تبسيط القضايا لاتسيغها العقول العلمية الهادئة . من بدء أزمان لاتقدر ، الى ماقبل قرون قلائل كان الجنس الجرمانى يسكن شمال القارة الأوربية ، وكان جنسا غير مذكور ولامأبوه له ، وكان أحط الأمم الاوربية سكانا ، فاين كانت خواصه الالهية ، وصفاته السماوية كل تلك القرون ؟ أكان عاجزا عن خلق مدنية لنفسه ؟ أم هى المدنية نشأت عند غيره وقريبا منه ، ومع ذلك خاب برغم قرب المساس عن اقتباسها واستعارتها ؟ أم الحقيقة هى التى تقول ، ان العنصر وحده غير كاف لخلق المدنيات واستنباط الحضارات

بدأت الحضارات فى مصر والعراق والهند وشرق البحر الابيض ، ومشى التاريخ قدما فانتقلت مراكزها الى اواسط هذا البحر ثم الى غربه ، ثم مشى التاريخ خطوات أخرى فبلغت الحضارة بحر الشمال والمحيط الأطلسى ، وعندئذ ، وعندئذ فقط ، بدأ العنصر الجرمانى يظهر فى التاريخ ، فان كان العنصر وجده قبلنا بكل شيء فكيف ظل الجرمان ابرة كل الاحقاب بينما كانت العناصر الأخرى ، وهى وطيئة فى زعمهم ، تخترع الحروف وتبتدع الارقام وتخط البحار بالتجارة وتبنى الدول وتقيم الحضارات

ان الجزر البريطانية تألفت سكانها فى القرن الثانى عشر من نفس العناصر التى تألف منها فى القرن العشرين ، الا فى اليسير الحقير ، وقد كانت فى اوائل القرن السادس عشر جزرا لاشأن لها ولاخطر ، ولم يمض على ذلك العهد غير قرنين حتى وجدناها قوة عظيمة فى دول العالم . فكيف جاءها هذا الشأن وذلك الخطر ، والعنصر هو هو لم يتغير ؟ أليست العوامل التاريخية والجغرافيه اذن أبعد أثرا من كل ماعداها ؟ كانت الجزر البريطانية فى طرف اوربا ، والحضارة متركزة فى شرق البحر الابيض أو وسطه ، فلم يكن لبريطانيا ذلك المساس الذى لابد منه لاشتعال الثقاب ، لذلك لم يكن لها فى الحضارة

(١) شعب ايطالى قديم كان يعيش فى جبال أبينين الوسطى
(٢) شعب آخر قديم كان يسكن أواسط ايطاليا

قول كبير ولاعمل خطير ، ثم استكشفت أمريكا ، وبين عشية وضحاياً انقذفت بريطانيا فى وسط المسرح العالمى ، فلم يكن لها بد من تمثيل دورها ، وانتقل مركز المدنية الى غرب أوربا حيث بقى ويبقى سنين طوالا ، حتى أصبحت لفظة الغرب علما على المدنية ، واصبحت انجلترا قائدة الامم ، وان كان لعنصرها الجرمانى أثر فى هذا الانقلاب ، فهو لا يقارب فى شدته الاثر الذى للحوادث والتاريخ والجغرافيا معا . ولنفس تلك الاسباب زالت عن ايطاليا تلك السيادة التى كانت لها يوم تربعها فى وسط المسرح العالمى ، فى وسط البحر الابيض المتوسط حينما كان هذا البحر عظيما لوقوعه فى الطريق الى الشرق وأهله ، ولكن كشف امريكا قذف بايطاليا حفيدة الرومان من بؤرة الرقعة الى طرفها ، وفى الوقت نفسه كشفوا عن طريق الهند الآخر ، فلم يكن بد من نزول ايطاليا حفيدة الرومان عن قوتها وثروتها وجاهها نزولا سريعا كسرعة الحوادث فى ذلك المكان الغربى النائى من سطح الارض . فهل نسب هذا التنزول الى العنصر وهو الذى اليه نسبنا الصعود فى سالف الدهور ؟

ثم المخترعات الحديثة وعلى رأسها البخار ، أحدثت فى العالم السياسى والاجتماعى والاقتصادى احداثا أين منها أثر العنصر ؟ ان التاريخ فى القرنين الفائتين كتب بالفحم الاسود والحضارات قيست بعدد الاحصنة البخاريه التى للامم ، حضارات بنيت على الفحم والحديد ، فالفحم والحديد عاملان جغرافيان أين منهما أثر العنصر ؟ فلولم يكن فى صخور انجلترا وامريكا ذلك الذخر الكبير من الرقود الصلب والسائل لكان للتاريخ الأخير مجرى غير الذى كان برغم الـ ـة ودعاتها

ان الامم كالافراد تتألف نجاحها من عاملين ، عامل الوراثة وعامل البيئة ، ومن عوامل البيئة العوامل الجغرافية التى ذكرنا مثلا منها ، ولعوامل البيئة هذه أثر لا يناهض فى تقـــدم الانسان أو تأخره ، وهى على الاقل تضع حداً جازماً لتقدمه لا يمكنه تجاوزه . والحضارات أنتجت انسانية نادرة نشأت من الارض فى بقاع متفرقة ، كانت كلها نتيجة انفعال الانسان لبيئته وتفاعله معها وتغيير نفسه وحاله وفقا لها ، وعلى هذا لا يمكن مقارنة مدنية بمدنية ولا مقدرة شعب بشعب الا إذا قارنا بيئتيهما وهذا جد عسير ، ودون هذا لا تمكن اقامة الدعوى على أن قوماً غير أهل لمدنية لانهم وهم فى بيئة خاصة خابوا فيما حاولوه . ان المايا س Mayas واليوكاتان Yucatan قبيلان من الناس كبـــيران كانت لهما مدنيتان زاهرتان فى أمريكا الوسطى قبل الفتح الكولومبى بقرون فلو أنك قرنتهما بالاغريق فربما خرجت بأنهما دون هؤلاء عنصراً ، لانهما لم يأتيا بمثل ما أتى الاغريق . ولكن اذا علمت ان هذين القبيلين كانا يعملان فى عسر من الطبيعة شاق ، فقد حرمتهما الدواب وحرمتهما الحـــديد ، فلم يعرفا لهذه رسما ولا لهذا اسما ، وامتحنت بعد ذلك ما خلفا لوقعا من نفسك موقعا قد يناهض موقع الاغريق أو يعلوه

احمد زكى

رسالة العـــلم

صحيفة علمية نصف سنوية أصدرتها جمعية خريجى كلية العلوم فى مائتو خمسين صفحة كلها مليئة بالمقالات العلمية الممتعة فى كل ضرب من ضروب العلم ، بأقلام طائفة من الشباب العامل الرزين المنتج ، مجموعة من بواكير لا تحسبها عند القراءة بواكير ، كتبت للجمهور المثقف العالى ، جمعت الى سهوله اللفظ صواب الحقيقة فى وفرة ولذة وحسن اختيار ، فالرسالة تهنىء تلك الطائفة الكريمة بما انتجت ، وتغتبط بالمعنى الذى أوحى لها الاسم الذى اختارته لصحيفتها ، وترجو لهم التوفيق الدائم فى جهودهم العلمية الكبيرة التى هى من جهود مصر وظاهرة من أمس الظواهر بمستقبلها الزاهر المرجو

العالم المسرحي والسينمائي

مسارحنا فى الأعياد

لناقد « الرسالة » الفنى

جرت تقاليد المسارح الكبرى ، ودور اللهو فى أوربا عامة ، وفى انجلترا خاصة ، على اعداد برامج حافلة فى مواسم أعياد الميلاد ورأس السنة ، تمنى بعرض مشاهد مسلية يجد فيها الأطفال متعة ولهواً بريئاً يثير فى نفوسهم الغبطة ألواناً من السعادة والجذل ، ويجعلهم ينعمون بأمسيات طيبة فى ليالى العيد ، تبهج قلوبهم ، وتبعث فيها الحياة والمرح .

وتزدحم المسارح فى أيام العيد برواداها من الأطفال مع أهلهم الذين يصحبونهم يشاركونهم اللهو والسرور جذلين فرحين بأن يتم أبناؤهم بما أعدوه لهم من مباهج العيد ومسراته فى المنزل أو فى المسرح على السواء .

وتستمر حفلات الأعياد فى المسارح قرابة شهر ، وأكثر البرامج المعروضة من نوع « الپانتوميم » الذى يمثل بعض الخرافات الشائعة ، أو القصص الصغيرة المسلية ، التى لا يعيا ذهن الطفل الحدث فى تفهمها ومتابعتها ، وتصحب بالموسيقى والأغانى الرقيقة التى يسهل على الطفل حفظها وترديدها بلفظها الجزل ، ولحنها السهل ، ونغمها الشجى العذب .

وهناك بعض الروايات على المسرح الانجليزى ، تعد خصيصا لحفلات أعياد الميلاد ورأس السنة ، وقد أصبح تمثيلها من التقاليد الموروثة التى لا ندحة عنها ، وبعضها يرجع تاريخ ظهوره الى حوالى نصف قرن ، ولكنها تظهر كل عام فى مظهر أنيق ، فتعد لها الملابس الجديدة الزاهية ، والمناظر الدقيقة الجميلة ، وقد تضاف اليها بعض الأناشيد والأغانى لتجعل لها لونا جديداً جذابا .

وأشهر الروايات التى عرضت هذه السنة على مسارح لندن فى مواسم الاعياد « سندرلا » و « الاطفال فى الغابة » و « ديك وتجتن » و « علاء الدين » ويرجع تاريخ ظهورها الى سنة ١٨٩٣ ، أعنى الى واحد وأربعين سنة مضت .

ومن أحسن الروايات التى عرضت هذه السنة ، ولها تاريخ ماض طويل ، رواية « پيتربان » التى يحتفظ بطلها بنضارة الصبا على مدى الحياة ، وهو خالد على مر الدهور لأنه يمثل روح الشباب الخالدة أبدا .

ومثلت رواية « هانسل وجريتل » على مسرح كامبردج ، وقد ظهرت لأول مرة على مسارح لندن سنة ١٨٩٥ حيث مثلتها فرقة كاروزو . وتعد بموسيقاها من أحسن الروايات الغنائية ، ولها شهرتها البعيدة فى انجلترا والمانيا على السواء ، بل فى القاهرة أيضا وقد كتبت قصتها للأطفال خاصة

ومن الروايات القديمة التى تمثل فى هذا الموسم رواية « أين ينتهى قوس قزح » التى يرجع تاريخ ظهورها الى حوالى عشرين سنة مضت ، وهى رواية وطنية تثير فى الطفل الانجليزى الوانا شتى من العاطفة القومية ، وموضوع القصة خرافى ولكنه من الموضوعات الشائقة التى يكون لها فى قلب المشاهد أبلغ الأثر .

وبعض هذه القصص والروايات تمثل فى لندن وفى كثير من المدن الانجليزية الكبرى فى وقت واحد أثناء أعياد الميلاد . ولا نريد ان نمضى فى هذه الناحية من الحديث الى غير نهاية ، فانما أردنا بذلك ان نمهد لما نريد ان نقوله للمشتغلين بالمسرح فى مصر ، وانا لنرى منهم اهمالا تاما وعدم احتفاء بأعيادنا القومية او الدينية وانها لتمر عليهم كغيرها من سائر الأيام ، فلا يعدون لها برنامجا خاصا ولا روايات معينة ، بل يحشدون فيها رواياتهم القديمة المعروفة فلا جديد فى أيام العيد ولا ما يشبهه ، وما يعنون باعداد مشاهد مسلية طريفة يستطيع أطفالنا ان يجدوا فيها متعة ولهوا ، ويكون فى مقدورنا ان نجتذب صغارنا الى دور المسارح مطمئنين

الى انهم سوف يلقون قصصا تبهجهم وتسعدهم وتناسب عقليتهم الساذجة البسيطة .

وبينما يجد الطفل الانجليزى فى العيد من الروايات والمشاهد مايحيى فى قلبه عاطفة قوية اويبث فى نفسه الحية الوطنية ، اويدفعه الى حب الخير ويغمى فيه حاسة العطف على الفقير والبائس والمحروم ، أو يريه من نواحى الفضيلة مايحببه فيها ، ومن صور الرذيلة مايزهده فى اقترافها ، ومن معانى تقدير الآباء واحترامهم ، وتبجيل الاهل وإيثاء ذوى القربى ؛ ما ينشئه نشأة صالحة طيبة ، بينما يجد الطفل فى انجلترا وفى غيرها من الممالك الاوربية هذه الروايات الطيبة التى تسليه وتربيه معاً ، ويراها يوم عيـــد ونفسه أحسن ما تكون استعداداً لتلقى ما يلقى اليها من المعانى السامية والاغراض الجليلة ، لا يجد طفلنا شيئا من هذا ، وانه ليمضى نهاره وليله حبيس غرفته وقد تمضى به إلى حديقة أو إلى زيارة بعض الاقرباء ، وليس فى كل هذا جديد عليه .

ولست أدرى من ألوم . المؤلف المصرى أو مديرى الفرق التمثيلية ؟ فلو أن مؤلفاً كتب قصة من هذه التى تماثل ما ذكرنا من قصص المسرح الانجليزى التى تعرض فى مواسم الاعياد هل كان يجد الفرقة التى تقبلها وتعرضها ؟ إن مؤلفنا لا تنقصه الموضوعات ان شاء وفى كثير من الخرافات الشائعة مجال واسع لقلمه ان أحب ، وانه ليستطيع أن يخلق من بعض هـــذه الخرافات التى يتلقاها الاطفال فى المنزل وتفسد عليهم تفكيرهم البرىء موضوعات شائقة تنقلب بها الخرافة من النقيض الى النقيض وتزيح عن عقل الصغير شيئا ما نظنه بالهين ولا باليسير .

وهذا « البعبع » الذى خلقته العجائز لاخافة الطفل وإفزاعه أما نستطيع ان نعيده رجلا طيبا يحنو على الاطفال ويحبهم ويهبهم ليلة العيد العطايا والمنح الطيبة من الالعاب والحلوى ، أسوة ببابا نويل الذى خلقته الخرافة فى الغرب فجعلت منه معبوداً للاطفال الصغار ؟ ! و « أبو رجل مسلوخة » ماذنب المسكين فى سلخ رجله ، وما ذنب اطفالنا تقيمه لهم مخافة ومفزعا ؟ أما فى مقدورنا أن نضع حول خرافته قصة لطيفة مسلية تبرزه فيها الرجل الطيب الذى يحب الاطفال الذين يحترمون آباءهم ويجلون اساتذتهم ، ويهب الشيطين منهم والمكبين على الدرس الهدايا واللعب والحلوى ، وتنتزع بذلك تلك الصورة المشوهة التى نلقيها فى ذهن أطفالنا وندفعهم الى التقرب منه عن طريق حبه ورجاء خيره ، بدل أن نفزعهم بصورته البشعة ورجله المسلوخة ؟

وفى العيد الكبير ألا نصلح قصة كبش الفداء موضوعا لرواية سهلة يرى فيها أطفالنا أصل هذه العادة الاسلامية التى تدفعنا الى ذبح الكباش يوم العيد وتوزيع لحومها على الفقراء والمعوزين ؟

اننا نستطيع ان نخلق عشرات الروايات من تاريخ مصر القومى ومن تاريخنا الاسلامى تدور حول موضوعات تبث فى قلوب الأطفال حب الوطن وتقدير تاريخهم المجيد ، كما تبذر فيهم بذرة طيبة صالحة من الخلق القويم والادب الرفيع ، غير ما تدخله على نفوسهم من الوان المرح والسرور بهذه القصص الشائقة المسلية ، وتجعل العيد متعة لهم ومبعث سعادة وفرح ، وتجعلهم مشوقين اليه جد الشوق ، يحسون مبلغ عنايتنا بالترفيه عنهم وادخال السرور على نفوسهم ، وتجعل من العيد حياة زاخرة قوية ، ومن ايامه اناسا الصغار والكبار على السواء ، وتقيم فارقا بين ساعاته التى يجب أن نملأها نعيما وهناء ، وبين أيام السنة التى تمضى بين الجد والعمل ، وتمر فاترة مملولة .

وبعد . . . هل تجد هذه الكلمة أذنا صاغية من مؤلف أو مدير فرقة ؟ لقد مرت فرصة العيد الصغير ولكن ما يزال فى الوقت فسحة للعيد القادم ، فلعل صغارنا يلقون فيه بعض ما يلقى صغار الأمم والشعوب يوم العيد .

محمد على حماد

يوم نصر للصانع المصرى والتاجر المصرى

عيد الوطن الاقتصادى

لعامه الاول

على ارض المعرض بالجزيرة

يومى الخميس والجمعة ١ و ٢ فبراير

يقظة وحياة ـ نهوض وجهاد

أروع دعاية لصناعة مصر وتجارتها

فواكه ـ اصواف ـ بمباريات ـ موسيقات

هو عيدكم أيها المصريون جميعا

فأعدوا له نفوسكم وقلوبكم وما تملكون من إيمان

القصص

أمـــير النوبة

بقلم الأديب حسين شوقى

عاد أمير النوبة الى (نباتا) بعد أن قضى سنوات طويلة فى مصر ، على زعم أنه يلقى الدروس بجامعة (عين شمس) العظيمة ، ولكن الواقع هو أنه قضاها فى مغازلة وصيفات الاله « رع » الحسان ؛ وما كاد الأمير يرجع الى وطنه حتى شعر بحنين شديد الى مصر ، وطنه الثانى ، فتذكر فى حسرة شوارع منفيس الواسعة ، وحوانيتها الفخمة ، وبائعاتها الرشيقات ، ومراقصها . . أما هنا فى (نباتا) فكل شىء يضايقه : فقصر أبيه الملك لا يزيد شأناً على الأعشاش التى يقيمها بعض وجهاء المصريين — فى المصايف — على شاطىء البحر ، والنساء كلهن بدينات متزينات بالريش والودع ، دميمات المنظر مثل (سخمت) الاله المصرى الذى يلتهم المذنبين فى العالم الثانى . . أما أصدقاؤه من النوبيين فكلهم خشن الطباع ، يلتهمون الطعام بأيديهم فى وحشية وقذارة . . إنه يؤثر عليهم العزلة ليخلو الى خياله فيتذكر أصدقاءه المصريين المرحين فى (عين شمس) الذين قضى معهم أياما سعيدة فى قصورهم الشامخة على ضفاف النيل . ما أبهج تلك الليالى التى قضاها معهم فى احتساء « الجعة » اللذيذة المخصصة لقرابين الاله « رع » ، والتى كانوا يحصلون عليها خفية ! . أما النوبيون فكانوا لا يميلون اليه ، بل كانوا يسخرون من عاداته التى اكتسبها من مصر ، ويرمونه بالخنوثة . .

حقا ! ان آلام الأمير النفسية كانت شديدة ، خصوصا وهو لم ينس قط (تايا) الحسناء بنت معلمه الكاهن (منتو) ، كم ود أن تصحبه هذه الفتاة الى (نباتا) ، ولكن ماذا يعمل أمام رفض والدها الكاهن وهو رجل يحافظ على التقاليد . لم يرض أن تتزوج ابنته من أجنبي دنس فى نظر الدين . .

وبينما هو سابح فى هذه الاحلام ، يذكر هذه المناظر المصرية خلال الدخان المتصاعد من « غليونه » ، اذا بأبيه الملك يدخل عليه فجأة فيقول :

ولدى ! أتحب أن تعود الى مصر ؟

فأجاب الأمير وقد تهلل وجهه :

ما أشد سرورى بذلك يا أبت ! هذه غاية منائى

الملك — ولكنك ستعود هذه المرة طالبا ملكهم لا علمهم ! فستقود الجند الذين سيزحفون على مصر فى الغد ، لان الوقت مناسب لهذا الهجوم ، أما أنا فصحتى لا تسمح لى بالسفر ، انظر الى ساقى ، إن ورمهما يزداد كل يوم . . هذا بلا شك أثر لسحر تلك الجارية التى طردتها فى الاسبوع الماضى . آه من السحر ! كان يجب أن أدق عنقها بدلا من أن أطردها ، ومع ذلك فأنت تعرف مصر جيداً ، ولابد أنك مغتبط بهذه المهمة . .

قال الأمير (فى غضب) — كلا ياوالدى ! لا أريد أن أذهب الى مصر جلاداً . .

فصاح الملك متعجبا ماذا تقول ياولدى ؟ من علمك هذه الترهات ؟

إنى آمرك بذلك . أفهمت ؟

قال الأمير — إنى آسف ياوالدى إذ لا أستطيع أن أرافق جيشك فى هذه الغزوة !

فصاح به الملك — (فى غضب) — أنى آمرك حقا لقد أخطأت فى إرسالك إلى مصر لتتعلم ، إن القوم مهرة فى علم السحر ، فهم قد سحروك . .

الأمير — أجل ! انهم سحرونى بحضارتهم !

الملك — (يضحك بصوت عال) — حضارتهم ! أين هى ؟ أتسمى حضارة هذا « الغليون » الذى يكتم أنفاسى يدخانه ؟

الامير — ولكن يا أبت ما الفائدة التى نجنيها من هذه الحرب ؟ إن المصريين أقوياء وجيشهم مجهز بأحدث الاسلحة . .

الملك — ولكنهم منقسمون ، يحارب بعضهم بعضا ، انها فرصة ثمينة لغزوهم الآن ..

الامير — ولكن ألا تخشى غضب آلهتهم العظام ؟

الملك — (يضحك) — ليست آلهتهم الا ضفادع المستنقعات وقطط الحيطان .. (ثم قال فى جد) كفى الآن مزاحا ، اذهب! فارصد أهبتك للرحيل

الأمير — لن أذهب يا أبت !

الملك (محتداً) — بل ستذهب أيها الولد العاق !

غادر الملك الحجرة فشعر الأمير بعد أن هدأت ثورته بحزن عميق ، لأنه لا يستطيع بحال أن يحارب المصريين الذين تعلم فى ديارهم ، وتثقف بثقافتهم ، واتخذ من بينهم أصدقاء كثيرين .. انه لا يستطيع أن يتصور النيل مصبوغا بالدماء ، ورياضه وحقائله جرداء ، وقصوره تلتهمها النيران . كلا ! ثم إن المصريين لم يعتدوا من جانبهم على النوبة حتى يكون هناك مبرر لهذا الزحف ، كلا ! هذا أمر فظيع ! انه يؤثر عليه الموت ..

ألقى الأمير بنفسه على السرير وأخذ يبكى طويلا ، ثم نهض فتذكر قنينة السم التى أعطاها اياه معلمه الكاهن (منتو) عندما ذهب ليودعه يوم سفره ، كما تذكر قول الكاهن وتئذ :

« ولدى ! ان فى الحياة أوقاتا يفضل الموت فيها ، وأنتم معشر الملوك والأمراء معرضون لاخطار كثيرة كالاسر أو المنفى ، ثم إن هذا السم لا يحدث ألما وانما يشعر شاربه كأنه فى الفردوس .. »

قصد الأمير دون تردد زاوية من الحجرة حيث كانت حقيبته التى صحبته فى رحلاته الى مصر ، فنظر بعين ملؤها العطف الى البطاقات الكثيرة التى تحملها الحقيبة من الفنادق الكبيرة فى منفيس وطيبة وصالحجر ، فأخرج منها قنينة السم ثم شربها جرعة واحدة وتطرح على السرير ..

وفى صباح اليوم التالى جاء خادمه لايقاظه من النوم كالعادة ، ولكنه امتنع هذه المرة عن تأدية هذا الواجب لأن وجه سيده كان يفيض بشاشة ، فلم يشأ ان يعكر عليه أحلامه اللذيذة ..

حقاً ! إن الكاهن (منتو) لم يكذب حين قال إن شارب سمه يحلم بالفردوس ، ولكن الواقع ان روح الامير كانت فعلا فى الفردوس ، لأن الآلهة أرادوا مكافأته على تضحيته واتخاذه مصر فردوسهم الثانى فى هذه الأرض ..

حسين شوقى

أسطورة جاهلية

أساف ونائلة

حدث السادن (تيم) من (جرهم) يروى قصة « أساف » و « نائلة » اللذين مسخا صنمين ، فعبدتهما قبيلتا (قريش) و (خزاعة) ومن حج الكعبة من بعدهما ، قال : كان (أساف بن يعلى) من أشراف « جرهم » ، ومن أشجع فرسانها ، وكان مليح الوجه ظريفا عظيم النفوذ بين العرب ، وكانت « جرهم » تهابه أكثر مما تحبه ، وقد أوتى حكمة الشعر والكهانة ، وجمع إلى المال قوة العمالقة ، شيد له صرحا فى اليمن كعرش الشمس ، ولم يمكنه إلا بعد أن أخذ بثأر أبيه المقتول ، ونحر على قبره ، واحتفر للغنائم من حوله ، حفراً ختمها بالحديد هذا الجبار الذى كان يتلهى بقتل عبيده فى أوقات الفراغ ، وقع أسير حب (نائلة بنت زيد) من « جرهم » ، وكانت من أجمل نساء العرب ، وأكثرهن ذكاء . تنشد الشعر ، وتترك النار مشبوبة حول بيوتها للضيفان ، وكان ربما خرج « أساف » للصيد والقنص ، فصادف جواري يستقين ، فينشدنه من أشعارها ما يطربه ، وما كان « أساف » ليأنف أن يقف للناس فى الاسواق وهو الزعيم القوى البأس لكى ينشدهم شعره فى نائلة ، فاشتهر عشق البطل لربة الجمال ، وتغنت به الركبان فى أرض اليمن وكان من عادة العرب ، التفريق بين العاشقين ، فكان طبيعيا أن يحرم العاشق لذة اللقاء ، وأن يذوق حرارة البعد ، ومرارة الفراق ، وأن تفكر المعشوقة فى خلها طول النهار ، وطرفا من الليل ، وأن يتحين العاشقان فرصة اللقاء ، ليرتشفا كأس الحب ، فلما أقبلت نائلة من اليمن تحج البيت ، كان أساف قد سبقها اليه ، وكانت العرب تعظم الكعبة ، وتبالغ فى حبها والتبرك بها ، وكانت تضع فى جوفها أصنامها المعبودة

والتقى أساف بنائلة حول ذلك البيت المقدس حاجين ، وما كان أشد اشتياق البطل لمعشوقته ، فطافا مرارا ، ثم دخلا الكعبة يتبركان بأصنامها ، فاتفق أن وجدا غفلة من الناس ، وخلوة فى البيت ،

فتقدم البطل إلى ربة الجمال ، وأسلمت نفسها له فى خفة ، ورقة ولين ، فضمها العاشق إلى نفسه ، وتبادلا قبلات فيها شغف ولهفة ، وفيها وجد وحنين ، وإذ ذاك صدرت فى الحال همهمة مروعة ، من أجواف الأوثان ، أخرجت العاشق من لذة القبل ، فغضب ، وسب الأصنام ولعنها ، فلما أصبح الحجاج وجدوهما صنمين على صورتهما من العقيق الأحمر ، فعدت قريش مسخهما فضلا من الآلهة ورحمة ، واحتفلت خزاعة بهما ، ونصبتهما للعبادة فى أرفع مكان بالكعبة ، وكانت تتقرب إلى عبادتهما بالهدايا والقرابين ، وتنحر عندهما ، وكلما حجت العرب الكعبة تمسحت النساء بالصنم (نائلة) وتمسح الرجال بالصنم المعبود (أساف) وطافوا من حولهما . وبالغت قريش فى تقديسهما فأقامت لهما منحرا ينحرون فيه الهدايا من النوق العتاق ، والشياه السمان ، واختارت سدنتهما من شايخها . وكانت بنات (نائله) السادنات يرسلن شعورهن ، وينتظرن ظهورها على قارعة النخل مرة كل عام . وكانت نائلة تظهر مرة كل عام فى صورة شيطان ، رائعة الجمال ، مرسلة الشعر ، يركض بها جواد أشهب ، الى مقر الكعبة ، فاذا بلغتها اختفت ، وسمع من الصنمين صوت القبلات المتبادلة ، وربما يكون العربى الحاج فى هذه الفترة على بعد ألف فرسخ من مقر زوجته أو أمه ، فيشعر كأنه قد قبلها وقبلته .

سليمان متولى

ربع مية ...

(بقيـــة المنشور على صفحة ٦)

ليلة من الليالى بهذا الخفوت المنكر المخيف .. قال أصحابى فأنك تنسى أن الأزهر قد كان جامعاً فاصبح جامعة ، وإنك تنسى أن الجامعة إن استيقظت فى النهار فهى تنام فى الليل ، وانك تنسى أن للجامعة نظاما يحد حظها من الحركة وحظها من النشاط . فاذكر هذا كله واذكر انك تخطىء اشد الخطأ إن ظننت أن التجديد مقصور على الجامعة وأصحاب الجامعة ، فالتجديد أقوى وأنشط وأوسع سلطانا مما تظن . انظر اليه كيف وصل إلى الأزهر فعله كيف يكون الكلام فى النهار والصمت فى الليل . وقد كان الأزهر متصل الكلام فى الليل والنهار . قلت لأصحابى يا بؤسى للتجديد اذا انتهى بالأزهر الى هذه الحال ! كم كنت أوثر ان يظل الأزهر جامعا والا يمسخ جامعة .

طه حسين

مجموعة السنة الاولى

لدى الادارة مجموعات من السنة الأولى للرسالة تباع مجلدة بخمسة وثلاثين قرشا عدا أجرة البريد

قراءة الأفكار وعلوم نفسية

تحقيق الرغبات ، السحر ، العلاج النفسى ، المندل الأثير ، بناء الشخصية ، الرياضة الروحية الخ ثمنه ٥ والبريد ٢

ملكات العقل الباطن

التنويم المغناطيسى ، الايحاء ، التحليل التركيبى الانجاز ، الخلود ، اليقظة الروحية الخ ثمنه ٥ والبريد ٢

يطلب الكتابان من مؤلفهما الأستاذ وليم سرجيوس المحامى بشارع الترعة البولاقية رقم ١٥٦ بالسيدة بمصر

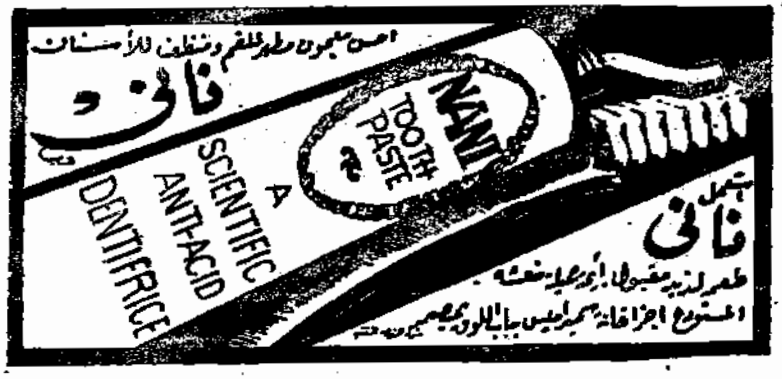

حيـــاة نابليون

تأليف الاســـتاذ حسن جلال

يقول الانجليز « لا ينجح مثل النجاح » وهذا ماأردده حين أتعرض للأستاذ حسن جلال ، فقد أخرج من قبل كتابه « الثورة الفرنسية » فكان توفيقه باهراً ، ثم طلع علينا أخيرا بكتابه « حياة نابليون » فكان بحق مثار الاعجاب والدهشة .

نعم ، الكتاب جدير باعجابنا وتقديرنا ، فها هى ذى كتب التاريخ الكبيرة بين أيدينا نقرؤها من غير شهية ، وهذا فى اعتقادى ناشئ من أن الكاتب لم تتشبع روحه بالموضوع ، ولم يهضم مادته هضما يمكنه من جعل الحقائق غذاء سائغا لقرائه ؛ وأستاذنا من هذه الناحية يحب تاريخ الثورة الفرنسية وعبد نابليون ويعجب به ، ولعل الكثير من تلاميذه لا يزال يذكر مقدار توفيقه فى تدريس هذه المادة ، الحق أن الاستاذ بلغ فى هذا منتهى ما يصل اليه الخيال من حدود التوفيق ، ذلك لأنه كان يقبل على عمله بعاطفة ، ولعل هذا يفسره إخراج هذين الكتابين .

فاذا كان الاستاذ قد أحب هذه الصفحة من التاريخ الفرنسى ، وصرف شطرا من عمره يبحث ويتشبع روحه بها ، فلا أقل من أن يضع بين يدى طلاب الثقافة عصارتها ، ومن ثم كان الكتاب سهلا سائغا يحبه القارىء وتلذه قراءته . ولا يفرغ منه إلا ليقرأه من جديد .

هناك نقطة أخرى ، هى الحقائق لا أكثر ولا أقل ، يسود المؤلفون بها صحائف الكتب ويلقونها على تلاميذهم دون أن يحاولوا استخلاص الآراء التى تحتجب وراءها ، أو بمعنى آخر دون أن يعلقوا عليها التعليق الذى يجعلها فيض نضارة وحياة وقوة . الى هذا كله فطن الأستاذ حسن جلال ، فلم يكن يهمه فى كتابه أن يعلم القارىء أن مئات الحوادث قد وقعت ، ولكن يهمه أن يصل بالقارىء الى ظروف حدوثها وكيف كان يفكر أبطالها ، ثم الى أى حد كتب لهم التوفيق ولماذا أصابهم النجاح أو ضرب عليهم الفشل ؛ ونرى فى « حياة نابليون » أن الاستاذ المؤلف يوجه القارىء بواسطة المعلومات التى ساقها فى مهارة ولباقة فائقين ، إلى سبل التطور وتتبعها ، وتفهم الاصول الاجتماعية والسياسية والخلقية والعقلية والاقتصادية التى أحاطت بالعصر الذى عاش فيه نابليون . أما مادة الكتاب فلم يكن الاستاذ مخترعا لها ، فالتاريخ انما يستخلص من المراجع ، ولكنا نجد بعض المؤلفين ينقلون صحائف برمتها من هذه المراجع ، ثم يكتبون صحائف أخرى بأنفسهم ، فلا نجد انسجاماً بين أجزاء الكتاب الواحد . والقارىء لكتاب الأستاذ جلال يلمس مهارة المؤلف فى اختيار مادة كتابه ، ويلمس كذلك الترتيب المنطقى للمعلومات ، وتبدو شخصية المؤلف الجذابة وروحه الخفيفة قويتين بحيث لا تميز خلالها روح مؤلف ممن رجع اليهم ، كل هذا برغم أن الكتابة عن الاشخاص فى نظرى أبعد أنواع الكتابة التاريخية منالا .

وليس عجيباً أن يكون الأستاذ هادئاً بطبعه ، ولكن العجيب أن يكون هادئاً حتى وهو يكتب هذه الحياة العاصفة ، لا يميل مع الانجليزى الذى يمثل نابليون أفعى نفثت سمومها ، ولا مع الفرنسى الذى يصور الرجل من قاده البشر الى الجريمة والاخاء والمساواة ، بل يجلس الأستاذ بينهما مجلس القضاء .

ومهارة الاستاذ فى القصص ، تفوق مهارته فى التاريخ ، فأنت حين تقرأ وصفه للقاء نابليون بجزفين بعد عودته من مصر ، تنسى التاريخ وتنسى كل شىء الا ذلك التصوير الرائع ، ولكنك لا تكاد تنتهى منه حتى تصدمك عنوانات تاريخية جافة (حالة فرنسا فى غياب بونابرت — انقلاب برومير — دستور ١٧٩٩) فتوقظك من ذلك الحلم وتعيدك الى حظيرة التاريخ مرة ثانية ؛ ذلك تصادفه كثيرا فى كتاب الاستاذ ؛ فهل نعتبر الكتاب قصيدة منثورة أو نعتبره قطعة من التاريخ ؟ أما رأيى فهو أن الكتاب تاريخ شعرى ، وما أحوج التاريخ الى ان يكون سائغا جميلا ، ولاسيما اذا انتبهنا الى ان الاستاذ لم يكتب لنا مؤلفا نضعه فى عداد المراجع التاريخية ، أو سفرا له قيمة السجلات الرسمية ، ولكنه صاغ حلقة من سلسلة المعارف العامة التى تعنى لجنة التأليف والترجمة والنشر بوضعها بين ايدى طلاب الثقافة . وآخر كلمة أقولها بعد أن قرأت (حياة نابليون) ان الاستاذ المؤلف قد عرض المؤرخين الذين ترجموا لهذا البطل صفا صفا ، استعلاهم جميعا فأفرغوا ما كان يملأ جعبتهم (من وحى الهوى وتصوير الاعجاب وإملاء المقت وصدى الحفيظة) ثم ناقشهم الحساب العسير حتى عرف البواعث التى أملت ما قالوا ، وأخيراً قال كلمة العدالة التى عصبت عينيها ، ورفعت الميزان فى احدى يديها ، وأمسكت بالأخرى سلاحها ، فكانت كلمته فصل الخطاب ؟

عبد الفتاح السرنجاوى